الفصل الثالث

بنـاء الدلالة

يهـدف هـذا الفـصل إلى بيـان المكونـات الدلاليـة للـنص الـشعري في "جمهـرة أشـعار العرب.."، من جهة الكم الذي شكلته المعاني في بناء النص، ومن جهة كيفية بناء هذه المعاني بعضها على بعض في النص.

ولما كانت الدلالة تمثل المستقر الأخير للمسالك التي تسير فيها عناصر النص الشعري – ألفاظه، وصوره، وموسيقاه – فإن قضية هذا الفصل تتحدد في الإجابة عن سؤالين يحيطان بأقطار الدلالة في نصوص الجمهرة، وإن لم يستوفيا تفاصيلها. هذان السؤالان هما: كم هي؟ وكيف هي؟

وتشغل الإجابة عنهما مدخلًا ومبحثين:

المدخل: يتناول مفهوم بناء النص، أنه بناء دلالي في الأساس.

المبحث الأول: أبنية الدلالات.

المبحث الثاني: طرق بناء أبنية الدلالات.

مدخل:

1- بناء النص الشعري بناء للدلالات:

يمثل البحث عن المعنى والدلالة (*) غاية تحليل الكلام، سواء أكان الكلام أداءً علميًّا أم

(*) إيراد اللفظين معًا هنا للتفريق بينهما. انظر هذه القاعدة؛ أن اللفظين إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، وإذا افترقا في الذكر اجتمعا في المعنى: د. علي جمعة محمد: الطريق إلى التراث الإسلامي، مقدمات معرفية ومداخل منهجية، نهضة مصر، الطبعة الأولى، 2004 م، ص 59.

والفارق بين "المعنى" و"الدلالة": أن المعنى هو المفهوم المباشر من النص، أو هو المستوى الأول من دلالته. أما الدلالة فهي مستوى تال من مفهوم النص، وراء المفهوم المباشر. مثال ذلك حديث النبي ﷺ: "إن الله – عز وجل – يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه"، فمعنى الحديث إتقان العمل، أما دلالته فأن الإسلام دين عمارة وحضارة. يمكن بعبارة أخرى القول إن المعنى هو محصول التفسير، الذي يعتمد على الوضع الأصلي للألفاظ، وعلى النقل الظاهر وبيان المعنى الظاهر والمتبادر من الدلالة، بينما الدلالة هي محصول التأويل، الذي ينزع إلى =

إبداعًا أدبيًّا. والإبداع الأدبي - الشعر منه خاصة، والشعر العربي القديم منه بشكل أخص - تثرى صياغته الفنية؛ ألفاظه وصوره وموسيقاه، بعطاء زاخر من المعاني والدلالات، بنيت بناء دلاليًّا غنيًّا في عناصره، متنوعًا في طرقه، محكمًا في تماسكه.

هذا الفهم للبناء الشعري - أنه بناء معان ودلالات - كان مستقرًّا عند النقاد والبلاغيين العرب، منهم ابن طباطبا العلوي صاحب "عيار الشعر"، وحازم القرطاجني صاحب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"[1].

فتحت عنوان "صناعة الشعر" يقول ابن طباطبا العلوي: "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخضَّ المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرًا، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه ... فإذا كملت له المعاني وكثرت الأبيات، وفق بينها بأبيات تكون نظامًا لها، وسلكًا جامعًا لما تشتت منها ...

=

مراتب الدلالة الأعمق والأشمل من إيماءات إلى معان ثانوية أو إيحائية أو سياقية أو مآلية، فهو أقرب إلى الدراية، وتعرّف المعنى الباطن معتمدًا على الفهم والاستنباط بالمعقول. انظر هذا الفارق بين التفسير والتأويل: د. حسن الشافعي: القارئ المعاصر بين كرامة النص ومسئولية التأويل، بحث مقدم إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة. بتاريخ 2005/3/25، ص 9-10.

(1) ومنهم ابن قتيبة الدينوري في نصه المشهور: "وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار...". من كتابه الشعر والشعراء، ج1، ص 75.

ونفس هذا الفهم كان عند الخطابي في بيانه لمفهوم النظم في القرآن الكريم، الذي هو مناط الإعجاز مع الألفاظ والمعاني، يقول: "أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر؛ لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان". في: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني. تحقيق: د. محمد خلف الله أحمد، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1387هـ = 1968م، ص 36. وقد أشار د. شفيع السيد في تعليقه على مثال ذكره الخطابي للنظم من سورة المدثر، رابطًا فيه ربطًا معنويًّا بين سباق الآية ولحاقها؛ أن الاعتداد بمثل هذا المثال في النظم عند الخطابي "يوسع دائرته - أي دائرة النظم - ويجعله ضربًا من الربط المعنوي بين فصول الكلام وفقراته". انظر: البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، 1987، ص 52.

وأضيفُ أنه يؤسس، مع مجمل علم المناسبة؛ لمعرفة طرق بناء الدلالات بعضها على بعض ليس في القرآن الكريم فحسب؛ بل وفي الشعر أيضًا، قديمه وحديثه. وهو أعم من الفصل والوصل؛ لأنه يحلل الأبنية المعنوية للجمل في حال انفصالها كما في حال اتصالها.

ويسلك منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم، وتصرفهم في مكاتباتهم، فإن للشعر فصولًا كفصول الرسائل، فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة، فيخلص من الغزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى ... بألطف تخلص وأحسن حكاية، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله؛ بل يكون متصلًا به وممتزجًا معه ...

والشعر على تحصيل جنسه ومعرفة اسمه، متشابه الجملة، متفاوت التفصيل ... فمن الأشعار أشعار محكمة متقنة، أنيقة الألفاظ، حكيمة المعاني، عجيبة التأليف، إذا نقضت وجعلت نثرًا لم تبطل جودة معانيها، ولم تفقد جزالة ألفاظها. ومنها أشعار مموهة، مزخرفة عذبة، تروق الأسماع والأفهام إذا مرت صفحًا، فإذا حصلت وانتقدت بهرجت معانيها، وزيفت ألفاظها ... ولم يصلح نقضها لبناء يستأنف منه، فبعضها كالقصور المشيدة، والأبنية الوثيقة الباقية على مر الدهور، وبعضها كالخيام الموتدة التي تزعزعها الرياح، وتوهيها الأمطار، ويسرع إليها البلى"[1].

يستخلص من هذا النص المطول الأصول التالية:

1- القصيدة بناء، مادته الأولية المعاني، معبرًا عنها بالألفاظ؛ إذ لا يتصور وجود معنى قائم بنفسه إلا في صورة لفظ - كما يقول عبد القاهر الجرجاني.

2- عملية التنسيق والترتيب والربط بين الأبيات، تكون مادتها أيضا المعاني، ويكون تنقيح الألفاظ والنظر في القوافي بناء على تنسيق المعنى.

3- تتكون القصيدة – مثلها الرسائل - من عدة فصول، هي أغراض الشعر ومعانيه، وهي متلاحمة متصلة بلا انفصال، وهو ما يجعلها محكمة البناء متماسكة التأليف.

4- القيمة الفنية للقصيدة مردها إلى المعاني، وإلى الألفاظ، وإلى طريقة بناء المعاني.

5- هناك فروق بين القصائد في هذه العناصر، تجعلها متفاوتة في القيمة الفنية؛ ومن ثم في الاستحسان.

(1) محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص 43-45. وانظر أيضًا: ص 167.

ويقدم حازم القرطاجني نظرية متكاملة في البناء الدلالي في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، تتكون من عنصرين؛ الأول: بيان المعاني من حيث حقائقها وكيفية اجتلابها، وعلاقتها بالنفس المبدعة والمتلقية، والثاني: المباني، من حيث أقسام المعاني في القصيدة، وكيفية بناء بعضها على بعض، على ما سيأتي بيانه في هذا الفصل. لكن يلفت النظر فيما قدمه حازم في حديثه عن إحكام مباني الفصول الدلالية في القصائد، أنه يرد أصل مفهوم "القصيدة" إلى قدرة الشاعر على استيفاء الأغراض والمعاني والجهات فيها، فيُسمَّى - حينئذ - "مُقصِّدًا"، أما من لا يقوى على هذا الاستيفاء فيُسمى "مُقطِّعًا". يقول حازم: "إذا كان الشاعر مقتدرًا على النفوذ من معاني جهة إلى معاني جهة أو جهات بعيدة منها، من غير ظهور تشتت في كلامه، وكان حسن المأخذ فيما يعضد به المعاني التي هي عمدة في كلامه من الأشياء التي يحسن اقترانها بها، بصيرًا بأنحاء التدرج من بعض الأغراض والمعاني إلى بعض، بالغًا الغاية القصوى في التهدي إلى أحسن ما يمكن أن تكون بنية غرضه وكلامه عليه من المعاني الشديدة العلقة بغرضه، والانتساب إلى مقصده، وإلى أحسن ما يمكن أن يزين به تلك المعاني المعتمدة، ويُبَهِّيها مما يكون فيه إفادةٌ مناسبةٌ لما أفادته تلك المعاني، فيكون في ذلك تقوية وتكميل لما اعتمد من المعاني الأُوَل، أو حياطة لها من الضعف والنقص ... وكان مع ذلك مقتدرًا على وضع العبارات عن جميع ذلك على أحسن ما يمكن أن توضع عليه، حتى يتناصر إبداعه في المعاني بإبداعه في العبارات عنها؛ قيل فيه إنه بعيد المرامي(*). وهذا إنما يتفق بقوة العارضة ومعاناة الطبع وكمال تصرف الفكر. وهؤلاء هم المقصِّدون من الشعراء، المقتدرون على تعليق بعض المعاني ببعض، واجتلابها من كل مجتلب.

فأما من لا يقوى من الشعراء على أكثر من أن يجمع خاطره في وصف شيء بعينه، ويحضر في فكره جميع ما انتهى إليه إدراكه من صفاته التي تليق بمقصده، ثم يرتب تلك المعاني على الوجه الأحسن فيها، ويلاحظ تشكلها في عبارات منتشرة، ثم يختار لتلك

(*) قوله: "قيل فيه إنه بعيد المرامي" جواب للشرط: "إذا كان" أول النص. وطول الجملة النحوية بين طرفيها، المبتدأ والخبر أو الشرط والجزاء، أحد أسباب صعوبة لغة حازم في منهاجه، وتأبِّيها أحيانًا على السماح بمعانيها من قريب.

العبارات من القوافي ما تجيء فيها متمكنة، ثم ينظم تلك العبارات المنتشرة من غير أن يستطرد من تلك الأوصاف إلى أوصاف خارجة عن موصوفها؛ فهذا لا يقال فيه بعيد المرامي في الشعر، وهؤلاء هم المقطِّعون من الشعراء"[1].

ويستخلص من هذا النص المطول أيضًا عدة أصول:

أ- القصيدة تضم: أغراضًا – معاني عمدة – معاني بعيدة شديدة العلقة بالأغراض وبالمعاني العمدة، تكملها وتقويها وتزينها.

ب- حسن التدرج في الانتقال من غرض إلى غرض، ومن معنى عمدة إلى آخر، مع توفر العلاقات بين المعاني المستمدة من جهات بعيدة عن المعاني العمدة، وبينها وبين المعاني العمدة بلا تشتت، ولا انفصال ظاهر بينها، أي إحكام بناء هذه المباني الدلالية بالعلاقات والروابط التي تشدُّ البناء أن يضعف أو يتشتت؛ هو الذي يعطي "القصيدة" مفهومها، والشاعر تمكنه واقتداره.

ج- ضمور البناء الدلالي عن وجود الأغراض، إلى معنى عمدة له أوصاف تستمد من جهات قريبة لا بعيدة كالأول، ثم ترتيب هذه المعاني على وجه حسن، في صياغة حسنة، وقافية متمكنة، ينزل بالشعر والشاعر من مستوى القصيدة والاقتدار إلى ما دونه من القطعة وقرب المرمى. بعبارة أخرى: إن الثراء الدلالي للنص الشعري من جهة العناصر الدلالية، ومن جهة إحكام البناء أحد معايير جودة هذا النص.

د- ضرورة تضافر البناء الدلالي مع الصياغة لبلوغ المرتبة العالية في الفن الشعري، سواء أكان البناء الدلالي ثريًّا في عناصره أم محدودًا فيها.

هـ- تفريع المعنى، وحسن الاقتران والتعلق بين المعاني، والتدرج من بعض الأغراض والمعاني إلى بعض، هو من طرق بناء الأبنية الدلالية الكلية (الأغراض والمعاني العمدة)، والجزئية (المعاني المتعلقة بالمعاني الجزئية).

2- تمايز النصوص بتمايز الدلالات، وطرق بنائها:

تأسيسًا على هذا الأصل – أن بناء القصيدة بناء للمعانى والدلالات فيها – تكون

(1) أبو الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 323-324.

خصوصية كل نص في طبيعة هذه المعاني والدلالات، وفي طريقة بنائها، وإن تشابهت بعض النصوص ظاهريًّا في طبيعة المعاني والدلالات، وفي بناء بعضها على بعض. ومن ثم يقتضي تحليل معاني كل نص ودلالاته وطرق بنائها الارتحال مع المعنى فيه؛ لمعرفة "كيف انبثقت ينابيعه من أوائلها وتسلسلت وجرت، وتعثرت وتوقفت، واستأنفت طريقًا بعد طريق، وكيف قفزت من باب من أبواب المعاني إلى باب آخر. وقد يظهر هذا في بعض القصائد قليلة السخاء، التي تجري معانيها على النسق المشهور، فتذكر الأطلال والرحلة ... إلى آخره، ويخفى إذا لم تكن القصائد جارية على هذا النغم، أو كانت جارية عليه، وهي من النفس الشعري السخي؛ كشعر الأعشى وامرئ القيس والنابغة، وكل القصائد الطوال الجياد"[1].

وترجع بعض أسباب اختلاف النصوص الشعرية في معانيها وطرق بنائها إلى "باعث النغم"، أو "مثير المعاناة" الذي دفع الشاعر إلى إبداع قصيدته. هذا الباعث والمثير يُتَهدَّى إليه بطريقين:

أحوال اللسان العربي وطرائق أدائه[2]، ومناسبة القصيدة والسياق الخارجي[*].

---

(1) د. محمد محمد أبو موسى: من أسرار التعبير القرآني – دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص 28. ويؤكد د. أبو موسى أن دراسة النظام الداخلي في نسق القصيدة لم يلتفت إليه الكثيرون على أهميته في تصور بناء القصيدة. انظر: قراءة في الأدب القديم، ص 383. وفي موازنة الشعر يشير د. محمد أبو موسى إلى أن من وجوه بلاغة القرآن التي لم تدرس بعد كما ينبغي حركة المعنى داخل السورة، ومراقبة نموه وامتداده، وذهابه وارتداده، وأن تحريك المعاني في السورة نظام بلاغي له أصوله وأسسه، وأن هذا باب من أخفى أبواب البلاغة وأغمضها. انظر: السابق، ص 25-26، 28.

(2) انظر: د. محمد أبو موسى: قراءة في الأدب القديم، ص 26.

(*) يعلل د. حماسة عبد اللطيف دعوته للاهتمام ببناء الجملة في الشعر القديم، وأنه أهم وأدعى للعناية بـ "أن ظروف النص الأخرى غائبة أو غير موثوق بها، فلم يبق إلا النص وحده، وعلينا مجابهته من الباب الشرعي، وهو بناء الجملة". انظر: بناء الجملة العربية، ص 247.

وبرغم أهمية تحليل بناء الجملة في هذا الشعر – كما ذكر، وكما سبق بيانه في الفصل الأول كله – فإنه ينبغي العمل على إعادة استحضار ظروف النص الأخرى الغائبة بإعادة بناء السياق الخارجي للنصوص بكل عناصره التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية متلاحمة، في فتراته الزمنية المختلفة لذلك العصر؛ لأن بعض نصوص ذلك العصر القديم في حاجة إلى أضواء كاشفة من هذا السياق الخارجي لكشف بعض دلالاتها، مثل نصوص المديح =

أما أحوال اللسان العربي وطرائق أدائه، فمثل التقديم والحذف والتعريف أو التنكير والإيجاز والتفصيل والتخفيف والمجاز والتصريح والكناية ... إلخ، وما تحمله هذه التراكيب من دلالات ظاهرة وهواجس خفية من نفس قائلها.

وأما مناسبة القصيدة - وإن لم تكن أصلًا في فهم دلالات النصوص الشعرية - فإن الحاجة إليها تمس في بعض النصوص لفهم معانيها ودلالاتها.

وأما السياق الخارجي - وهو أعم من مناسبة القصيدة - فإنه يشمل الأبعاد الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية المحيطة بالشاعر، وما تموج به الحياة حوله من تصورات ونزعات وأفكار وخواطر[1].

ورغم خصوصية كل نص في طبيعة المعاني والدلالات وطرائق بنائها، فإن هناك أنماطًا عامة للمعاني والدلالات ولطرق أدائها، تضم في طياتها هذه الخصوصيات، وتمثل أنساقًا عامة للبناء الدلالي في نصوص الجمهرة.

= واستقبالنا المعاصر لها، خاصة التي قيلت في عصور قوة الدولة الإسلامية. فما زال هذا الاستقبال يراها قصائد لاستجداء الملوك والخلفاء والأمراء. أما عند إعادة بناء السياق السياسي الاجتماعي الثقافي الحضاري الذي قيلت فيه وكانت نتاجًا له، فإنه يمكن فهم واستقبال - ومن ثم تقدير - هذا الفن من فنون الشعر بغير التقدير الذي يلقاه الآن، والذي يتراوح بين الاستهانة والاتهام، عاجزًا عن النفاذ إلى طبيعة السياق الاجتماعي الثقافي السياسي، الذي كان يستقبل مثل هذه القصائد بتقدير عال لقيمتها الفنية والاجتماعية والسياسية، لا بالنظر إليها على أنها تسول بالفن. وهذه العملية، أعني إعادة بناء السياق الخارجي بعناصره المتلاحمة، من المهام المنتظرة من تاريخ الأدب.

(1) تجدر الإشارة إلى أن أحد مفاهيم السياق في النقد الأدبي الغربي المعاصر - الأسلوبي منه خاصة - هو "الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والشخصية المحيطة بالمؤلف والقارئ، مثل طبيعة الشعور، والصلات الثقافية والمكانة الاجتماعية والمعلومات، والمعرفة بالآثار الأدبية الأخرى والأجناس الأدبية، وتأثير المذاهب الأدبية والجمالية والبلاغة المعيارية والتقاليد اللغوية والاجتماعية السائدة، وكلها تؤثر في اختيارات المؤلف، وتشكيل سياق الإنتاج كما تؤثر في تلقي القارئ، وتشكيل سياق الاستقبال". برند شبلنر: علم اللغة والدراسات الأدبية، ص 110-111، نقلًا عن: مديحة جابر السايح: المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي في مصر، التطور - النظرية - التطبيق، 2003، ص 175، وانظر فيه: المفاهيم الأربعة للسياق في النقد الأسلوبي المعاصر، ص 174-187.

3- أصل المعنى أو جذر المعنى هو مصدر تماسك بناء النص:

أصل المعنى أو جذر المعنى هو الدلالة المركزية التي تنبثق منها كل دلالات النص الكلية والجزئية والفرعية، كما سبقت الإشارة في مدخل مبحث بناء الجملة الطويلة. وهو يشبه النواة التي تدور حولها كل مكونات الذرة، أو مركز الدائرة الذي يرتكز إليه كل محيطها.

وجذر المعنى في النص متولد عن الوحدة الشعورية التي انبثقت عن باعث النغم ومثير المعاناة، وفي نفس الوقت هو الذي يمنح القصيدة خصوصية بنائها، واتساق نظامها الداخلي، وترابط مكوناتها مهما تنوعت هذه المكونات[1].

تمثل هذه الأسس النظرية الثلاثة مدخلًا لدراسة بناء الدلالة في نصوص الجمهرة، من جهة أبنية هذه الدلالة، ومن جهة طرق بناء هذه الأبنية.

❊❊❊

(1) انظر: د. محمد أبو موسى: قراءة في الأدب القديم، ص 375-376، و: التصوير البياني، ص 220، وانظر مفهوم "وحدة القصيدة" في الشعر العربي القديم، وأنها وحدة تنشأ في نفس الشاعر أولًا، ثم تفيض على كل مكونات القصيدة، فيما يسمى بـ "زمن النفس". محمود محمد شاكر: نمط صعب ونمط مخيف، ص 301-303.

المبحث الأول
أبنية الدلالات

يتناول هذا المبحث المكونات الدلالية للنص الشعري في "جمهرة أشعار العرب"، مقسمًا إياها إلى عدد من أنواع الأبنية الدلالية، تتدرج من الأكبر إلى الأصغر، بحسب المساحة التي تشغلها من بناء النص؛ ثم يحلل خصائص هذه الأبنية الدلالية من هذه الجهة الكمية.

ومن ثم يضم هذا المبحث العناصر التالية:

1- أنواع الأبنية الدلالية.

2- نماذج الأبنية الدلالية.

3- خصائص الأبنية الدلالية.

1- أنواع الأبنية الدلالية:

يتكئ هذا المبحث – في رصده أنواع الأبنية الدلالية في نصوص الجمهرة – على ما ذكره حازم القرطاجني في المنهج الأول من قسم المباني، في "المعلم الدال على طرق العلم بقواعد الصناعة النظمية، التي عليها تقوم مباني النظم، وبتصرف الخواطر فيها على ما يجب أن تلتئم صناعة النظام الشعري على الكمال".

ففي حديث حازم عن دور الطبع في الصناعة الشعرية يحدده أولًا بأنه "استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام، والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري أن ينحى به نحوها"[1]، ثم يبين أدوات هذا الفهم لأسرار الكلام، والذي تقوى به النفس على صياغة الكلام بأنها "قوى فكرية واهتداءات خاطرية"[2]، ويحددها بأنها عشرة تتفاوت حظوظ الشعراء منها. ثم يفصل القول في هذه القوى العشرة التي تمثل عناصر الطبع.

يقول في القوة الثانية: "القوة على تصور كليات الشعر والمقاصد الواقعة فيها والمعاني

(1) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 199.

(2) السابق: ن ص.

الواقعة في تلك المقاصد؛ ليتوصل بهذا إلى اختيار ما يجب لها من القوافي، ولبناء فصول القصائد على ما يجب"(1)(*).

في هذا النص يقدم حازم القرطاجني تصورًا نظريًّا للعناصر الدلالية في القصيدة؛ حيث يراها تنقسم إلى كليات، أي أغراض كلية، تتضمن عددًا من المقاصد الدلالية، كل مقصد منها يضم عددًا من المعاني، منتظمة جميعها في هيكل دلالي هو فصول القصيدة، وهيكل موسيقي هو القافية.

بناء على هذا التصور النظري، يقسم البحث أنواع الدلالات في نصوص الجمهرة إلى ثلاثة أنواع:

الأول: أبنية كلية؛ وتشمل: الأغراض – المقاصد.

الثاني: أبنية جزئية؛ وتشمل: المعاني الجزئية الواقعة في المقاصد.

الثالث: أبنية فرعية؛ وتشمل: المعاني الفرعية – المعاني المتفرعة – المعاني الهامشية.

والشكل التالي يوضح شجرة البناء الدلالي في النص:

---

(1) السابق، ص 200.

(*) خلاصة باقي القوى العشرة:

الأولى: القوة على تشبيه ما لا يجري على السجية بما يجري على السجية (أي تشبيه البعيد بالقريب والغامض بالواضح ...).

الثالثة: القوة على تصور أحسن صورة للقصيدة من جهة وضع بعض المعاني والأبيات والفصول من بعض، بالنظر إلى صدر القصيدة وخروجها إلى غرضها وخاتمتها.

الرابعة: القوة على الشعور بالمعاني، واجتلابها من جميع جهاتها.

السادسة: القوة على التهدي إلى اختيار أحسن العبارات وضعًا ودلالة على تلك المعاني.

السابعة: القوة على جعل العبارات متزنة (أي بناء العبارات بناء متسقًا).

الثامنة: القوة على الالتفات من حيز إلى حيز (من غرض إلى آخر)، والتوصل به إليه.

التاسعة: القوة على تحسين وصل بعض الفصول ببعض، وبعض الأبيات ببعض، وإلصاق بعض الكلام ببعض، بلا نبو بين هذه الأجزاء.

العاشرة: القوة على تمييز الكلام الحسن من القبيح، بالنظر إلى نفس الكلام، وبالنظر إلى موقعه مع غيره مما يجاوره. انظر: ص 200-201.

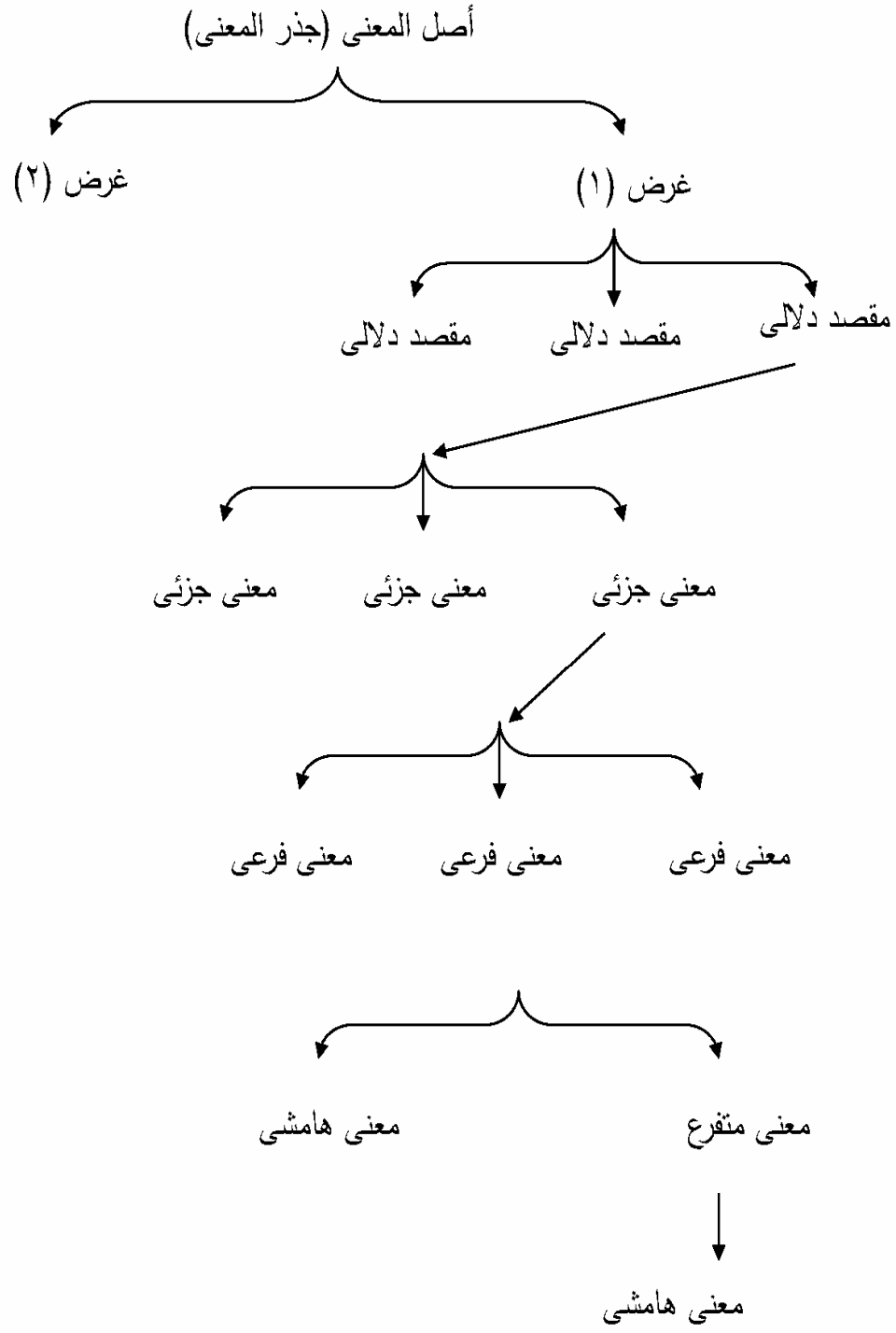
أصل المعنى (جذر المعنى)
غرض (١)
غرض (٢)
مقصد دلالى
مقصد دلالى
مقصد دلالى
معنى جزئى
معنى جزئى
معنى جزئى
معنى فرعى
معنى فرعى
معنى فرعى
معنى متفرع
معنى هامشى
معنى هامشى

1- الأبنية الكلية:

وتشمل الأغراض والمقاصد(*):

1-2 الأغراض:

هي البنية الدلالية الأكبر في النص الشعري. وقد تتعدد الأغراض في النص الواحد، وقد يكون النص الشعري كله غرضًا واحدًا.

هذه الأغراض هي: النسيب أو التغزل أو التشبيب (**) – الفخر – المدح – الهجاء – التهديد والوعيد – الرثاء والتمجيد. ويشغل كل غرض عددًا كبيرًا من أبيات القصيدة، كما يتكون من جملة نحوية طويلة أو أكثر.

وتجدر الإشارة إلى أن "الوصف" ليس غرضًا من أغراض النص؛ إذ إنه يأتي في كل الأغراض؛ فالمتغزل يصف عفاء ديار محبوبته، ويصف جمالها وظعنها الراحلة ... والمفتخر يصف قوة ناقته، ويصف بسالته وشجاعة قومه، والمادح يصف عطاء ممدوحه ... إلخ.

1-2 المقاصد:

وهي الأبنية الدلالية الكبرى التي تتضمنها الأغراض. كل مقصد منها يتكون من جملة نحوية طويلة أو أكثر. ويطلق حازم القرطاجني عليها مصطلح "الفصول". ويمكن اعتبار الفصول وعاء للمقاصد، مثلما أن وعاء المعاني الجزئية الأبيات القليلة أو البيت، ومثلما أن وعاء المعاني الفرعية البيت وجزء البيت.

(*) المفهوم المقدم هنا للأغراض والمقاصد يختلف عن مفهومها الذي قدمه د. محمد أبو موسى، مستمدًا إياه من عبد القاهر الجرجاني، وهو الدقائق والأسرار وخفايا المعاني المضمرة في الكلمات، وفي نظم الألفاظ، والتي تستخرج بالروية والفكر. انظر: د. محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، ص 12.

(**) ذكر ابن رشيق أن "النسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد، وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن، وليس مما ذكرته في شيء، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ"، ثم ذكر معنى التشبيب أنه من ذكر الشبيبة وأصله الارتفاع أو من الجلاء وهو الإظهار، وكلاهما إبراز لمحاسن الجارية للعيون. انظر: العمدة، ج2، ص 127-128. والتشبيب أخص من النسيب والتغزل؛ لأنه يقتصر على وصف محاسن المحبوبة، أما الأولان فأعم منه؛ لأنهما يضمان أكثر من فصل دلالي على ما سيأتي.

من المقاصد – على سبيل المثال: وصف الديار – وصف المحبوبة – وصف الظعن الراحلة – ووصف الخيال، وكلها في غرض التغزل. ومنها: الفخر بالنفس وبالقوم، ووصف الفرس، ووصف الأرض المخوفة، وكلها مقاصد في غرض الفخر ... إلخ.

هذا المفهوم للمقاصد – أنها أقسام دلالية تنقسم إليها القصيدة – يؤخذ أيضًا من ابن قتيبة الدينوري، في نصه المشهور الذي تداولته أقلام النقاد من كتابه "الشعر والشعراء"، وهو قوله: "وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق؛ ليجعل ذلك سببًا لذكر أهلها الظاعنين عنها ... ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة، والشوق؛ ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه ... فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحَرَّ الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء، وذمامة التأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة، وفضله على الأشباه، وصغر في قدره الجزيل"[1].

ففي هذا النص من هذا المفهوم للمقاصد ما يلي:

- التقصيد: وهو تقسيم القصيدة إلى أقسام، فالمُقصِّد يعمد إلى بناء قصيدته على أقسام.
- أقسام القصيدة التي ذكرها ابن قتيبة هي المقاصد التي تضمها الأغراض؛ فالوقوف على الأطلال للوصف والبكاء والشكاية، ثم ذكر أهلها الظاعنين عنها والشوق إليهم، ثم وصف الرحلة إلى الممدوح، ثم ذكر محامد الممدوح، كلها مقاصد دلالية، تقع تحت غرضي التغزل والمديح.

وإن كان ابن قتيبة – كما يلاحظ في كلامه – قد جعل النسيب أخص في المعنى مما هو عند ابن رشيق؛ إذ جعله شكوى شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق. وكلها معان

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص 75-76.

متعلقة؛ إما بوصف الديار والوقوف عليها، وإما بوصف رحيل أهلها عنها؛ فهي معنى جزئي داخل المقصد.

ثم يلاحظ على هذا النص:

- اختصاص هذه الطريقة في بناء المقاصد بقصائد المديح. فلم يستقص ابن قتيبة – وهذا مفهوم من إسناده الفكرة إلى "بعض أهل الأدب" – مقاصد القصائد التي بنيت على الأغراض الأخرى.
- ما ورد في النص ليس فقط المقاصد الدلالية في قصيدة المديح؛ بل طرق بناء هذه المقاصد بعضها على بعض، وهي طرق بناء دلالي. فالعلاقة الدلالية التي بني بها مقصد وصف رحيل الأحبة وأرحلهم الظاعنة على مقصد الوقوف على الأطلال، ثم التي بني بها النسيب، وهو شكوى شدة الوجد وألم الفراق عنده، على وصف رحيل الأهل، كلتاهما علاقة السببية. وكذلك مقصد المديح يبنى على مقصد وصف الرحلة قبله بناء النتائج على المقدمات الممهدة. وهذه جميعًا طرق بناء إجمالية، تفصيلها منبث في القصائد نفسها؛ لأنها هي التي تتجلى فيها تنوعات هذه الطرق وروابطها الظاهرة والخفية التي تربط المقاصد بعضها ببعض، وتبنى بعضها على بعض.

ويؤخذ هذا المفهوم للمقاصد من كلام آخر لحازم القرطاجني، يفرق فيه بين "المقصِّد" والمقطِّع" – وقد سبق بيانه – حيث يرى أن المقصدين من الشعراء هم المقتدرون على تنويع المعاني في القصيدة، وعلى "تعليق بعض المعاني ببعض، واجتلابها من كل مجتلب"، بينما المقطعون هم الذين لا يقوون إلا على القول في وصف شيء بعينه، يجمع فيه خاطره[1].

2- الأبنية الجزئية:

تضم نوعًا واحدًا من الأبنية هو المعاني الجزئية التي يتضمنها المقصد الدلالي الواحد. وتتعدد هذه المعاني الجزئية في المقصد الدلالي الواحد. وكل معنى من هذه المعاني الجزئية

(1) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء، ص 323-324.

يضيف معنى جديدًا؛ ومن ثم فإن هذه المعاني الجزئية هي معان "تأسيسية" في مقابل "المعاني التوكيدية" التي تكونها المعاني الهامشية، وبعض المعاني المتفرعة عن المعاني الفرعية – كما سيأتي – ولا تطول الجملة جدًّا في المعنى الجزئي.

من أمثلة المعاني الجزئية تلك المعاني التي يضمها – ومنها على سبيل المثال – مقصد وصف الديار، الذي هو أحد مقاصد غرض التغزل والتشبيب وهي: عفاء الديار – سؤالها عن الأحبة الراحلين. ومن المعاني الجزئية التي يضمها مقصد الفخر بالنفس: إطعام الفقراء وقت الشتاء الشديد البرودة – التمتع بالشراب والغناء – امتطاء الفرس السريعة في الحرب وفي الصيد ... إلخ.

ولحازم القرطاجني نص يتحدث فيه عن "جهات الأقاويل الشعرية"، وهي: "ما يكون الكلام منوطًا به من الأشياء المقصود وصفها أو الإخبار عنها"[1]. ويقسمها إلى جهات أُوَل وجهات ثوان:

الجهات الأول: وهي "ضرب يقع في الكلام مقصودًا لنفسه، وهو ما كان له بالغرض المقول فيه عُلقة، وله إليه انتساب بوجه يوجب ذكره"[2].

والجهات الثواني: "ما لم يكن له بالغرض علقة، ولكن له علقة ببعض الجهات المتعلقة بالغرض، فيذكر تابعًا لما ذُكر، معتمدًا على جهة إحالة أو محاكاة أو غير ذلك. وقد يكون له بالغرض عُلقة إلا أنه لم يُذكر إلا من حيث ما هو تابع لغيره ومتعلق به"[3].

يمكن فهم ما يعنيه حازم القرطاجني بالجهات الأول والثواني أنها المعاني الجزئية والمعاني الفرعية التي تقع تحتها. ويرجح هذا الفهم أمران:

الأول: قول حازم أن طرق تعليق هذه الجهات الثواني بالجهات الأول تكون عن طريق: الإحالة أو المحاكاة والتشبيه أو الاستطراد، أو وجود نسبة ما بين هذه المعاني والمعاني

(1) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء، ص 216.
(2) السابق، ن ص.
(3) السابق، ص 216.

الأول[1]، وهذه الطرق هي بعينها طرق بناء المعاني الفرعية والمتفرعة والهامشية داخل المعنى الجزئي كما سيأتي.

الآخر: تفريق حازم بين هذين الضربين من جهات الأقاويل الشعرية بأن الجهات الأول يمكن حصرها وتفاوت الشعراء فيها أقل، بينما الجهات الثواني لا يمكن حصرها وتفاوت طبقات الشعراء فيها أكثر [2]؛ إذ بتحليل المعاني الجزئية والمعاني الفرعية والمتفرعة والهامشية في النماذج موضع التحليل من نصوص الجمهرة، يتأكد هذان الفارقان بينهما، كما سيأتي في النماذج التحليلية.

ويدعم الفارق الثاني بينهما قول البلاغيين أن التشبيه والاستعارة والكناية – التي يجمعها وصف المحاكاة والتشبيه في قول حازم – هي مضمار السبق بين الشعراء، ومجال التفاوت بينهم[3].

وفي النص الذي سبقت الإشارة إليه في الحديث عن المقاصد، وهو النص الذي يفرق فيه حازم القرطاجني بين "المُقصِّد" و"المُقطِّع"، يفصل حازم عمل "المقصد".

يفهم من هذا النص المطول ما يلي:

- قوله: "معاني الجهة" هي المعاني المندرجة تحت معنى يجمعها هو المعنى الجزئي؛ لأن "الجهة" و"الجهات" في هذا النص هي المعنى والمعاني الجزئية التي سبق أن أشار إليها في النص الذي سبق تحليله في "جهات الأقاويل الشعرية".
- قوله: "ما يعضد به المعاني التي هي عمدة في كلامه من الأشياء التي يحسن اقترانها بها" هي المعاني الفرعية المتعلقة بالمعنى الجزئي، المنضوية تحته. وهي لا تكون فرعصا عنه إلا إذا كانت حسنة الاقتران به، أي هناك علاقة ومناسبة تسوغ قرنها بهذا المعنى الجزئي وإدراجها تحته.

(1) انظر: السابق، ص 216-217.

(2) انظر: حازم القرطاجني: منهاج البلغاء، ص 216-217.

(3) انظر: الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، ص 32-36.

– قوله: "ما يزين به تلك المعاني المعتمدة ويبهيها" هي المعاني الهامشية التي تأتي توكيدًا وتقريرًا للمعنى الفرعي أو المتفرع، أو بيانًا وتوضيحًا له، أو مبالغة فيه وتتميمًا له.

ثم لا يخفى تضافر هذا البناء الدلالي للمعاني، في أبنيتها المختلفة التي جاءت في هذا النص، مع بناء الألفاظ. وهذا ما عبر عنه حازم بـ "تناصر الإبداع في المعاني بالإبداع في العبارات عنها".

3- الأبنية الفرعية:

وتشمل: المعاني الفرعية – المعاني المتفرعة من الفرعية – المعاني الهامشية.

فالمعاني الفرعية هي: فروع دلالية صغيرة تتدلى من فرع المعنى الجزئي، المنبثق من غصن المقصد الدلالي المنشعب من جذع القصيدة وهو غرضها، والمستمد وراء معانيه من جذر المعنى وأصله الضارب في أعماق نفس الشاعر. ويكون المعنى الفرعي معنى تأسيسيًّا، ولا يتجاوز بناؤه النحوي الجملة الواحدة غالبًا، ويكون وعاؤه بيتًا شعريًّا أو بعض بيت.

والمعاني المتفرعة هي: فرعيات دلالية تمتد بأعناقها من الفرع الدلالي. وهي تفرعات تقل وتكثر بحسب استقصاء الشاعر لتفاصيل المعنى. ولا يتجاوز بناؤها النحوي الجملة أيضًا، وقد يكون بعض جملة. ويكون وعاؤها ومحلها بيتًا أو بعض بيت شعري.

أما المعاني الهامشية فهي أوراق وثمار هذه الشجرة الدلالية، ينتهي إليها بهاؤها وزينتها كما قال حازم، ولا يتجاوز بناؤها النحوي جزء الجملة غالبًا. وتكون غالبًا معاني بيانية أو توكيدية، منها: الصور البيانية – الحِكَم – التتميم – الإيغال – المبالغة – التوكيد اللفظي (دون المعنوي؛ لأن هذا يكون معنى جديدًا) – التفسير والبيان – التفصيل بعد الإجمال – الخاص بعد العام [1] – التكرار – عطف البيان. وتأتي غالبًا في نهاية البيت. ويجمع هذه المعاني جميعًا

(1) التتميم هو: "أن يذكر الشاعر المعنى، فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئًا إلا أتى به". انظر: د. بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، ج1، ص 132. وهو تعريف قدامة بن جعفر لها.
الإيغال هو: "ختم البيت بما يقيد نكتة يتم المعنى بدونها". ويعرفه أبو هلال العسكري بأنه: "أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع، فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحًا وشرحًا وتوكيدًا وحسنًا". انظر د. بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية. ج2، ص 942. ويفرق د. طبانة بينه وبين التتميم بأنه يكون في القافية فقط، والتتميم قد =

مصطلح "الإطناب" كما سبقت الإشارة[1]، ويأتي المعنى الهامشي بعد المعنى الفرعي أو المتفرع.

ويلاحظ غزارة الأبنية المتفرعة في القصائد الطويلة جدًّا والطويلة في نصوص الجمهرة أكثر من النصوص المتوسطة الطول والقصيرة.

من أمثلة هذه الأبنية الفرعية: في المعنى الجزئي الذي يتناول وصف الأرض المخوفة المترامية التي قطعها الشاعر بناقته، تأتي عدة معان فرعية ومتفرعة وهامشية. فمن المعاني الفرعية: وصف اتساع الأرض، وما تثيره في النفس من مخاوف – وصف عناصر ومكونات هذه الأرض المخوفة. ومن المعاني المتفرعة عن المعنى الفرعي الثاني، وهو وصف عناصر ومكونات هذه الأرض: وصف شدة حرها، والسكون المحيط بحيواناتها. ومن المعاني الهامشية تشبيه هذه الحيوانات بمشبهات بها تناسب معنى السكون أو الضمور أو... في هذه الحيوانات.

3-2 نماذج الأبنية الدلالية(*):

أ- من نماذج الأبنية الدلالية الكلية التي تمثل غرضًا دلاليًّا تحته عدة فصول دلالية قول خداش بن زهير في مجمهرته(**):

=

يأتي في حشو البيت. انظر: ن ص.

المبالغة هي: "أن يذكر الشاعر حالًا من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له". د. بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، ج1، ص 106. وهوتعريف قدامة بن جعفر لها أيضًا، وذكر د. طبانة أنها تنحصر في: التبليغ والإغراق والغلو. انظر: ص 110. ويلاحظ قربه من معنى التتميم.

(1) انظر: الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، ص 30.

(*) اقتصرت في التمثيل لهذه الأبنية الدلالية على نموذج واحد فقط لكل نوع لطول الشاهد، كما اخترت النماذج من الأبنية المقتضبة في كل نوع لعدم الإطالة، وإلا فإن النصوص حافلة بشواهد على هذه الأنواع من الأبنية، يتجاوز الواحد منها عشرين بيتًا.

(**) جمعت في هذا الشاهد بين الغرض والمقصد؛ لأن الغرض هو البنية الأكبر في النص، وليست له بنية أكبر منه ينضوي تحتها.

1- أَمِـن رَسـمِ أَطـلالٍ بِتُوضِـحَ كَالـسَّطْرِ فَـما شِـنَ مِـن شَـعْرِ فَرابِيَـةِ الجَفْـرِ

2- إِلى النَّخـلِ فَـالعَرجَينِ حَـولَ سُـوَيقَةٍ تَأبَـدَ في الأُدمِ الجَـوازيِّ وَالعُفـرِ

3- قِفـارٌ وَقَـد تَرعـى بِهـا أُمُّ واقِـعٍ مَـذانِبُها بَـينَ الأَسِـلَّةِ وَالـصَخرِ

4- وَإِذ هِـيَ خَـودٌ كَالوَذيلَـةِ بـادِنٌ أَسـيلَةُ مـا يَبـدو مِـنَ الجَيـبِ وَالنَحـرِ

5- كَمُغزِلَـةٍ تَغـذو بِحَومَـلَ شـادِنًا ضَـئيلَ البُغـامِ غَـيرَ طِفـلٍ وَلا جَـأرِ

6- طَباهـا مِـنَ النانـاتِ أَو صَـهَواتِها مَـدافِعُ جـوٍّ فَالنَواصِـفِ فَـالخَبْرِ

7- إِذا الـشَمسُ كانَـت رَتـوَةً مِـن حِجابِهـا تَقَتهـا بِـأَطرافِ الأَراكِ وَبِالـسِّدرِ[1]

فهذه الأبيات السبعة مبنية على غرض التغزل. وقد ضم هذا الغرض مقصدين دلاليين، هما: وصف الديار وإقفارها وتوحشها (1-3)، والتشبيب بالمحبوبة (3-7).

في المقصد الأول: يرصد الشاعر الأماكن التي سحب عليها الإقفار أذياله بعد رحيل "أم واقع" عنها، وهي: توضح وماشن ورابية الجفر والنخل والعرجين حول جبل سويقة؛ فقد أقفرت وسكنها أنواع الظباء المختلفة، التي تحتمل قلة الماء؛ لبعد مسايله عنها، فتجتزئ بالرطب من النبات(*).

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 523-525. وتوضح وماشن وشعر والجفر والنخل والعرجين وحومل والنانات وجو والنواصف والخبر: كلها مواضع، وسويقة جبل صغير. تأبد: توحش لحلول الوحش فيه. الأدم: الظباء المشرب لونها بياضًا مفردها آدم وأدماء. الجوازي: التي اجتزت بالرطب عن اليابس. والعفر: البيض مفردها أعفر. أم واقع: امرأة. والمذانب والمدافع: مسايل الماء. الأسلة: الأودية. الخود: الفتاة الرقيقة الناعمة. الوذيلة: مرآة الفضة. بادن: ممتلئة. الأسيل: المستوي الناعم. الجيب: فتحة القميص في أعلى الصدر. المغزلة: معها غزالها. تقرو: تتبع أو ترعى. شادن: قد اشتد وقوي. الجأر: الضخم. الصهوة: ما ارتفع. طباها: دعاها. رتوة: قدر الميل أو الرمية أو الخطوة. حجابها: موضع كناسها. انظر: ص 523-525 وهوامشها.

(*) قول الشاعر: "تأبد في الأدم" أرى أن أصل التعبير "تأبد فيه الأدم"، أي سكنت فيه هذه الأوابد، والضمير في "فيه" يعود على "رسم" في البيت الأول. وقد عدل الشاعر عن إسناد الفعل إلى الأدم، وأسنده إلى الرسم للدلالة على كثرة هذه الوحوش في هذه الأماكن، حتى إنها - أي هذه الرسوم في المواضع التي ذكرها - هي التي =

وفي المقصد الثاني: يخلص الشاعر إليه من وصف القفار التي كانت ترعى فيها وتقيم "أم واقع" قبل أن تقفر، فيخلص من هذا إلى وصف محبوبته أنها شابة رقيقة ناصعة كالفضة ملساء، تشبه في هيأتها ونظر عينيها الظبية التي ترعى ولدها الوديع، فهي وادعة رءوم، حلت عند مسايل المياه في الأماكن المختلفة، فهي ناعمة العيش وافرة الري، رقيقة رائقة اللون، حتى إن الشمس لا تكاد تلمس بشرتها، فهي تتقيها من بعيد، فتحتمي من أشعتها بالأراك والسدر(*).

ب- من نماذج الأبنية الدلالية الجزئية التي تمثل مقصدًا دلاليًّا تحته عدة معان جزئية، قول النابغة الجعدي في مشوبته في مقصد وصف سرعة ناقته(**):

17- كَمُرْقَدَّةٍ فَردٍ مِنَ الوحشِ حُرّةٍ أَنَامَتْ لدى الذئبين بالصّيفِ جُؤذَرا

18- فَأَمْسَى عَلَيْهِ أَطْلَسُ اللّونِ شَاحِيًا شَحيحًا تُسمّيهِ النّباطيُّ نَهْسَرَا

19- طَويلُ القَرَى، عاري الأشاجع مارِدٌ كشِقِّ العصا فُوه، إذا ما تضَوّرا

20- فَباتَ يُذكّيهِ بِغَيْرِ حَدِيدَةٍ أَخُو قَنَصٍ يُمسي وَيُصْبِحُ مُقْفِرا

21- فَلاقَتْ بَيانًا عِندَ أَوّل مَرْبَضٍ إهابًا وَمَعبوطًا من الجَوْفِ أَحْمَرَا

22- وَوَجْهًا كَبُرْقوعِ الفَتاة مُلمَّعًا وَروْقَين لَمّا يَعْدُوَا أن تقمّرا

23- فَلَمّا شفاها اليأسُ وَارتَدّ هَمُّها إليها، ولمْ يترُكْ لها مُتأَخَّرا

24- أُتيحَ لها فَرْدٌ خَلا بَيْنَ عالجٍ وَبَيْنَ جِبالِ الرَّمْلِ في الصَّيْفِ أَشْهُرا

= توحشت في الحيوانات لا العكس. وقد تكون "في" بمعنى السببية، ويكون المعنى "تأبد بسبب الأدم الجوازي".

(*) هذا الوصف برَوَقَان اللون ورقة البشرة على توجيه إعراب الجملتين "طباها .. وإذا الشمس كانت رتوة" أنهما خبران متعددان ضمن الأخبار المتعددة للمبتدأ "هي" في جملة الحال "وإذا هي خود". أما على توجيه الجملتين أنهما نعتان متعددان لـ "مغزلة"، فإن فحوى التشبيه بهذه الغزالة أنها كانت مثلها في وفرة من الري والحياة الوادعة الآمنة.

(**) أوردت البنية الجزئية ضمن بنيتها الأكبر؛ لأن جزئيتها لا تتضح إلا داخل إطار البنية الأكبر منها، وهي البنية الدلالية الكلية.

25- كسا دَفْعُ رِجْلَيْها صَفِيحَةَ وَجْهِهِ وَرَوْقَيْهِ رِبْعِيَّ الخُزَامَى المُنَوِّرا
26- مَرُوحٌ كَسا القُرْيانُ ظَاهِرَ لَونِه مَزادًا مِنَ القُرَّاصِ أَحوى وأَصفَرا
27- وَبَاهَى كَفَحلِ الشَّوْل يُنغِضُ رأسَهُ كَما يُنغِضُ الوَضعُ الفَنِيقَ المُجَفَّرا
28- وَوَلَّتْ بِهِ رُوحٌ خِفافٌ، كأنّها خَذاريفُ تُزجي ساطعَ اللّونِ أَغبرا
29- كأصداف هِنديَّين صُهبٍ لِحاهُمُ يَبيعونَ في دَارِينَ مِسْكًا وعَنْبَرا
30- فَباتَت ثَلاثًا بَينَ يَومٍ وَلَيلَةٍ يكون النَّكيرُ أَن تُضيفَ وَتجأرا
31- تلألأُ كالشعرى العَبورِ، تَوَقّدَتْ وكانَ عَماءٌ دونَها فَتَحَسّرا [1]

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 776-779. ومعاني المفردات في الأبيات على النحو التالي: 17- المرقدة: البقرة الوحشية السريعة. حرة: بيضاء. الذئبين: موضع. الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. 18- أطلس اللون: أغبره. شاحيًا: فاتحًا فمه. شحيحًا: لا يأكله غيره [والمعنى: يصيد ولا يصاد]. النباطي: الرجل من النبط، كانوا ينزلون سواد العراق. 19- القرى: الظهر. الأشاجع: عروق ظاهر الكف. 21- بيانًا: يقينًا ودليلًا. معبوطًا: دمًا. 22- ملمعًا: مخضبًا بالدم. الروقان: القرنان. لما يعدوا: لما يبلغا. تقمرا: تدورا، يصفه بالصغر. 23- شفاها اليأس: [أي كفت عن البحث لأنها أيقنت أنه قد افتُرس، فشفاها اليأس من وُجدانه حيًّا]. ارتد همها إليها: [أي: لم يعد مظهر همها بولدها البحث عنه؛ بل أصبح مكتومًا بداخلها]. ولم يترك لها متأخرًا: [لم يعد هناك سبب لتأخرها عن العودة إلى كناسها بعد أن شفاها اليأس من البحث عن ولدها، أو لم يترك لها أملًا باقيًا]. 24- فرد: ثور الوحش [المنفرد عن القطيع]. عالج: موضع فيه رمال عظيمة. 25- روقيه: قرنيه. المنور: الذي فيه زهر. 26- مروح: نشيط. القريان: جمع قَرَى: وهو مجرى الماء إلى الرياض. مزادا: مزيدا. القراص: نبات ينبت في السهول والقيعان والأودية، زهره أصفر، وأحوى: فيه حمرة تضرب إلى سواد وهو حار حامض يقرص إذا أكل منه شيء. 27- باهي: [جاء في القاموس المحيط، ج4، ص307-308: البهو: الواسع من الأرض ومن كل شيء، وباهاه: غلبه بالحسن، القاموس المحيط مادة (ب - هـ - و). وفي البيت يصف حركة الثور النشطة بأنها مباهاة، أي تخايل واهتزاز مثلما يفعل فحل الشول، وهو الذي يضرب الناقة الشول التي خف لبنها وارتفع ضرعها]. ينغض رأسه: يحركه إلى فوق وإلى أسفل. الوضع: ضرب من السير دون الشد. الفنيق: الفحل الذي لا يؤذى لكرامته على أهله. المجفرا: المنقطع عن الضراب. 28- روح: جمع روحاء، وهي الحيوان الذي به رَوَحٌ أي سعة بين الرجلين. خفاف: [سريعة]. خذاريف: جمع خُذْروف، وهو عويد مشقوق، يشد بخيط ويمد فيسمع له حنين، يلعب به الصبيان ويوصف به الفرس لسرعته. ساطع اللون: أي التراب. 29- الأصداف: أغشية اللؤلؤ. الصهبة: بياض يخالطه حمرة. دارين: موضع بالبحرين. 30- النكير: الإنكار. تضيف: جاء في القاموس المحيط، ج3، ص 171: تستغيث. 31- الشعرى العبور: كوكب نيّر، وهما الشعريان العبور والغميصاء. انظر: الهوامش، ص 776-
=

ينقسم هذا المقصد الدلالي الذي يصف فيه الشاعر سرعة الناقة إلى أربعة معان جزئية، هي:

1- افتراس الذئب ولد الناقة بعد أن تركته أمه وحيدًا. الأبيات [17-20].
2- فجيعتها برؤية بقايا ولدها المفترس وبلوغها ذروة اليأس. الأبيات [21-23].
3- انصرافها عن الانضمام لرفقة ثور الوحش النشط المتنعم. الأبيات [24-29].
4- مكوثها ثلاثة أيام تصيح باكية ولدها. الأبيات [30-31].

يلاحظ في المعنى الجزئي الأول معنى مضمر أسقطه الشاعر من بناء الحدث، وهو أن البقرة ذهبت بعد أن أنامت جؤذرها بموضع "الذئبين"؛ لتبحث عن طعام لهما، وأنها ظلت طوال اليوم بعيدة عن ولدها، مشغولة عنه بالبحث عن الزاد حتى أقبل المساء، "فأمسى عليه أطلس اللون"، وقد كانت تظن المكان آمنًا على ولدها، وقد كانت تظن أن غيابها عنه لن يطول. وهو معنى عميق، يصور الفجيعة بالموت، وقد كان السعي وراء أسباب الحياة، أو يصور غفلة الكائن الحي عن الحفاظ على الحياة، بانشغاله بطلب أسباب الحياة، والصور الشعرية في الجمهرة تحفل بأمثال هذه المعاني والدلالات الكامنة وراء ظاهر اللفظ وظاهر الصورة.

ويلاحظ على المعنى الجزئي الثالث - وهو انصراف البقرة عن ثور الوحش - أنه جاء مفصَّلًا أوصاف الثور الوحشي من المرح والنشاط ووفرة الطعام وصحبة البقر؛ ليؤكد مأساة البقرة الوحشية المرزوءة بولدها، حتى إن صورة الموت الماثلة أمامها في مزق ولدها، قد شغلتها عن صورة الحياة الحافلة التي تتقافز أمامها.

ويلاحظ على المعنى الجزئي الرابع انتهاؤه عند حركة البقرة الهائمة ليلًا تجأر حزنًا على ولدها. وثبات الصورة الشعرية عند هذا المشهد الأخير يخفي وراءه معنى الذهول الكامل الذي أصاب البقرة، فأذهلها عن المخاطر التي تتهددها وقد برزت ظاهرة، وهي البيضاء الناصعة البياض، في ظلمة الليل الحالك، تسرع من جهة إلى أخرى على غير هدى. وهذه الحركة داخل إطار المشهد الثابت نقلها بناء جملة الحال المتعدد "يكون النكير أن تضيف، تلألأ...".

=

.779

ج- من نماذج الأبنية الدلالية الفرعية التي تمثل معنى جزئيًا تحته عدة معان فرعية ومتفرعة وهامشية، قول بشر بن أبي خازم الأسدي في مجمهرته في غرض الفخر [الأبيات 8-24]، الذي جاء تحته مقصدان دلاليان؛ الأول: الإشادة بانتصار قومه على بني تميم [الأبيات 8-15]، والثاني: الإشادة بسالف مجد قومه الحربي وانتصاراتهم [الأبيات 16-24]، وجاء تحت المقصد الأول معنيان جزئيان؛ الأول: وصف تعاملهم مع بني تميم [الأبيات 8-11] والثاني: وصف بطولة خيلهم في الحرب [الأبيات 11-15].

يقول بشر في المعنى الجزئي الأول:

8- سَائِلْ تَمِيمًا في الحُرُوبِ وعامِرا أهَلِ المُجَرِّبُ مِثْلُ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ

9- غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تُقَتَّلَ عَامِرٌ يَوْمَ النِّسارِ، فَأَعْتِبُوا بالصَّيْلَمِ

10- كنَّا إذا نَعَرُوا لحربٍ نَعْرَةً نَشْفَى صداعهم بِرَأْسِ مِصْدَمِ

11- نَعْلُو القَوانِسَ كلَّ يومٍ، نَعْتَزِي والخَيْلُ مُشْعَلَةُ النّحُورِ مِنَ الدّمِ

12- يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الغبار عَوابِسًا خَبَبَ السِّبَاعِ بِكُلّ أَكْلَفَ ضَيْغَمِ

13- مِنْ كُلّ مُسْتَرخي النِّجادِ، مُنازِلٍ يَسْمُو إلى الأقرانِ غَيْرِ مُقَلَّمِ

14- فَهَزَمْنَ جَمْعَهُمُ وأَفْلَتَ حَاجِبٌ تَحْتَ العَجَاجَةِ في الغُبَارِ الأَقْتَمِ

15- ورأوا عُقَابَهُمُ المُدِلّةَ أَصْبَحَتْ نُبِذَتْ بِأَفْضَحَ ذي مَخَالِبَ جَهْضَمِ[1]

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 509-510. ومعاني المفردات على النحو التالي:

9- أعتبوا: من الإعتاب وهو الإرضاء. الصيلم: الداهية. 10- نعروا: صاحوا. رأس: سيد القوم. المصدم: الشديد المتقدم في الحرب. 11- القوانس: رءوس البَيْض [ونعلوها: نلبسها]. نعتزي: ننادي. والاعتزاء أن ينتسب الرجل إلى أبيه، يقول عند اللقاء لخصمه: خذها وأنا ابن فلان. 12- الأكلف: الأسد الذي خالط بياضه سواد، والضيغم: العضّاض. عوابسًا: كالحة الوجوه مما علاها من الغبار. 13- مسترخي النجاد: طويل حمائل السيف لطوله. المقلم: الذي لا سلاح له. 14- حاجب: هو حاجب بن زرارة، رئيس بني تميم يوم الجفار. 15- العقاب: راية بني تميم على صورة عقاب، وراية بني أسد على صور أسد. المدلة: أي أصحابها مدلون بجمعهم. أفضح: في لونه شهبة تعلوها حمرة. جهضم: عظيم الرأس، أراد الجيش الذي يحمل راية بني أسد. انظر: الهوامش، ص 509، 510، 511.

فتحت المعنى الجزئي الأول، وصف تعاملهم مع بني تميم [8-11] جاءت المعاني التالية:

8- تذكير بني تميم وبني عامر بتجاربهم السابقة مع بني أسد. (معنى فرعي).

9- معاقبة بني تميم على غضبهم لما أصاب بني عامر يوم النسار بما هو أدهى منه (معنى فرعي).

10- إجابة دعوة بني تميم للحرب بجيش يقوده سيد شديد البأس (معنى متفرع من المعنى الفرعي السابق، وفيه صورة بيانية هي الاستعارة التمثيلية).

11- خوض المعارك كل يوم بشجاعة (معنى متفرع).

وتحت المعنى الجزئي الثاني، وصف بطولة الخيل في الحرب [11-15] جاءت المعاني التالية:

11- تخضب نحور الخيل بالدم، وهي تخوض غمار المعارك (معنى فرعي).

12- خروجها من ميدان المعركة وقد علا الغبار وجوهها (معنى فرعي).

12- ركضها بعد طول القتال ركض السباع (معنى متفرع وفيه صورة بيانية تشبيهية).

12- خروجها من المعركة حاملة كل أسد مغوار (معنى فرعي).

13- هؤلاء الأسود الطوال القامة، المقتدرون على النزال، المكافئون لأقرانهم، المدججون بالسلاح (معان متفرعة والمعنى المتفرع الأول صورة بيانية، كناية).

14- هزيمة الخيل لجمع بني تميم وإفلات حاجب بن زرارة هربًا تحت أقتام المعركة (معنى فرعي).

15- انكسار راية بني تميم وارتفاع راية بني أسد (معنى فرعي).

يلاحظ على هذين المعنيين الجزئيين: خلوهما من المعاني الهامشية التوكيدية والبيانية؛ أما الصور البيانية التي جاءت في هذا المعنى الجزئي، فقد جاءت معاني متفرعة من المعاني الفرعية.

والفارق بين الصورة البيانية التي تأتي معنى متفرعًا، والتي تأتي معنى هامشيًّا أن الثانية تكون قد سبقت بالمعنى، لكنه جاء في تعبير حقيقي، تعقبه الصورة البيانية، تحمل نفس دلالة التعبير الأول؛

لكن في صورة أخرى تؤكده أو تبينه.

مثال الصورة البيانية التي جاءت معنى هامشيًّا من معنى متفرع عن المعنى الفرعي، قول القطامي في مشوبته، في فصل دلالي يصف صعوبة الطريق الواصلة إلى محبوبته "عُلَيَّة"، وتحته معنى جزئي يصف المشقة التي تنال النوق والأفراس التي تقطع هذا المنخرق. فيصف في معنى فرعي أثر الكلال الذي ينال هذه النوق والأفراس، فيظهر على عينيها ... يقول:

13- حَتى تَرَى الحُرّةَ الوَجْنَاءَ لاغِبةً والَارْحَبيَّ الذي في مشيه خَطَلُ

14- خُوصًا تُديرُ عُيونًا ماؤها سَرِبٌ على الخدود، إذا ما اغرَوْرَقَ المُقَل

15- لواغبَ الطَّرفِ منقوبًا مَحَاجِرُهَا كأنها قُلُبٌ عاديّةٌ مُكُلُ[1]

فالنوق والأفراس الغليظة القوية النشيطة تصبح مما نالها من الكلال:

- خوصًا غائرة العيون، تدور عيونها في محاجرها (معنيان فرعيان).
- فينسرب ماء هذه العيون (معنى متفرع).
- وتصبح فاترة الطرف (معنى فرعي).
- غائرة المحاجر (معنى متفرع).
- كأن هذه المحاجر آبار قديمة قليلة الماء (معنى هامشي).

فهذا المعنى الهامشي - وهو الصورة التشبيهية - جاء بيانًا لشدة غور هذه المحاجر، وسعة موضعها، وموضع العيون الفاترة النظر الكالة منها؛ وهو معنى سبق هذه الصورة التشبيهية، فجاءت هي بيانًا له.

وليست كل الصور البيانية تأتي معاني هامشية؛ فقد تأتي الصورة البيانية معنى فرعيًّا، مثل

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 806-807. ومعاني المفردات على النحو التالي:
13- الحرة: الكريمة. الوجناء: الصلبة الغليظة. لاغبة: متعبة. الأرحبي: الفرس المنسوب إلى أرحب، وهو حي من همدان. خطل: اضطراب. 14- خوصا: غائرة العين والخوص: صغر العين. 15- منقوبًا محاجرها: غائرة مواضع العيون. قلب: جمع قليب وهو البئر. عادية: قديمة. مكل: جمع مكول أي قليلة الماء. انظر: الهوامش 3-4، ص 806، والهامش 1، ص 807.

ما جاء في ملحمة الطرماح بن حكيم من معنى حَجْل الغراب النذير بالبين برجله؛ لقِصَر نساه، وهو عرق في رجليه؛ فقد جاء هذا المعنى صورة بيانية تشبيهية، ووصفًا ثالثًا لهذا الغراب. وثلاثتها معان فرعية للمعنى الجزئي، وهو إنذار الغراب بالبين، ضمن مقصد ترك الصِّبا والذكرى؛ تقوى لله، ونزولًا على حكم المشيب، الذي جاء أول مقاصد غرض النسيب في الملحمة. يقول الطرماح:

8- وَجَرى بِالَّذي أَخافُ مِنَ البَيـ ـنِ لَعينٌ يَنوضُ كُلَّ مَناضِ

9- صَيدَحِيُّ الضُحى كَأَنَّ نَساهُ حيث يَجتَثُّ رِجلَهُ في إِباضِ[1]

3- خصائص الأبنية الدلالية:

بتحليل الأبنية الدلالية لنماذج التحليل من نصوص الجمهرة، اتضحت الخصائص التالية لهذه الأبنية:

الخاصية الأولى:

خلو بعض النصوص من غرض النسيب، وذلك في القصائد التي كان غرضها الرئيس:

- الرثاء: مثل منتقاة دريد بن الصمة – مرثية أبي ذؤيب الهذلي – مرثية علقمة ذي جدن الحميري – مرثية متمم بن نويرة – مرثية مالك بن الريب التميمي.
- التهديد والوعيد: في نصي: مالك بن العجلان، وعمرو بن امرئ القيس.
- القيم الاجتماعية والفردية: في نصوص: عبيد بن الأبرص – عروة بن الورد – أحيحة بن الجلاح – النابغة الجعدي.

يقول ابن رشيق: "ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطًا من النسيب؛ بل يهجم على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة. وذلك عندهم هو الوثب، والبتر، والقطع، والكسع، والاقتضاب. كل ذلك يقال ... والقصيدة إذا كانت على تلك الحال [كانت] بتراء؛ كالخطبة

(1) انظر: الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 988. وينوض كل مناض: يذهب كل مذهب. الصيدحي: الرفيع الصوت. يجتث رجله: يقتلعها من الأرض. الإباض: حبل يشد من رسغ البعير إلى عضده، فيكفه عن المشي. انظر: الهامش 7 ن ص.

البتراء القطعاء، وهي التي لا يُبْتَدَأ فيها بحمد الله عز وجل، على عادتهم في الخطب ... وزعموا أن أول من فتح هذا الباب وفتق هذا المعنى أبو نواس، بقوله:

لا تَبكِ لَيلى وَلا تَطرَب إِلى هِندِ وَاشرَب عَلى الوَردِ مِن حَمراءَ كَالوَردِ[1]

يلاحظ في هذا النص أن ابن رشيق:

- يقرر وجود هذه السمة من سمات البناء الدلالي في نصوص الشعر القديم، وهي خلو النص من النسيب، ودخوله في الغرض الرئيس مباشرة. ويجعل مثل هذا البناء الدلالي بناء ناقصًا؛ لجريانه على غير المعتاد من البناء الدلالي للنصوص؛ ومن ثم وصفه بالقصيدة البتراء.
- ثم يذكر – بصيغة التعريض "زعموا" – أن أول من فتح هذا الباب وفتق هذا المعنى هو أبو نواس. وفتح الباب وفتق المعنى هنا ليس أنه أول من فعل ذلك في قصائده؛ بل معناه أنه أول من دعا دعوة نظرية إلى هذا البناء المتجاوز للنسيب في ابتداء القصيدة، أو أول من جعله معنى شعريًّا، وإلا فإن من سبق ذكرهم كانوا جميعًا جاهليين، وبعضهم أدرك صدر الإسلام، مثل أبي ذؤيب الهذلي، ومالك بن الريب التميمي، والنابغة الجعدي، وأبو نواس لاحق لهم جميعًا.
- قول ابن رشيق: "لا يجعل لكلامه بسطًا من النسيب" لا يعني أنه يذكر نسيبًا مقتضبًا؛ بل معناه أنه لا يذكر نسيبًا أصلًا؛ بدليل ما بعده(*).

والجدول التالي يوضح بناء الأغراض والمقاصد في كل نص من هذه النصوص التي

(1) ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 231.

(*) ومثل هذا الفهم جاء لقول الشاعر: "لا يرى خرق القميص بقده"، فليس معناه أن هناك خرقًا لكنه لا يرى؛ بل معناه أنه لا خرق أصلًا حتى يرى. انظر هذا الفهم: د. محمد أبو موسى: التصوير البياني، ص 397. ومثله قول التبريزي في شرح بيت دريد بن الصمة:

30- وهون وجدي أنني لم أقل له كذبت.

يقول: "ليس القصد إلى أنه لم يقل له كذبت قط، وإنما المراد أنه لم يجفه أدنى جفاء".

انظر: الهاشمي: الجمهرة، ج 1، ص 594، هامش 3.

خلت من غرض النسيب:

النص	الغرض	المقاصد	الأبيات	جذر المعنى
1- منتقاة دريد بن الصمة(*).	رثاء أخيه عبد الله. (ويمكن جعل المقصد الأول والثاني غرضًا	1- انفصام عرى الزوجية بينه وبين أم معبد. 2- وصف ظعنها الراحلة. 3- وصف مقتل أخيه عبد الله.	2-1 4-3 18-5	تعليل وتبرير كثرة بكائه على أخيه عامًا كاملًا. بيّن من المقاصد أن جذر المعنى يشدها جميعًا حتى مع اعتبار

(*) يرى بعض النقاد أن قصيدة دريد بن الصمة هي قصيدة الرثاء الوحيدة في الشعر الجاهلي التي بدأت بالنسيب. أورد د. محمد أبو موسى آراء هؤلاء النقاد - وهم ابن الكلبي والنحاس وابن رشيق - موافقًا إياهم الرأي، في معرض تحريره ما ذكر أحمد أمين في كتابه "فجر الإسلام"، من تعميم نمط البناء الذي ذكره ابن قتيبة على كل الشعر العربي القديم ومنه قصائد الرثاء.

ويذكر د. أبو موسى تفسير ابن رشيق لمجيء هذه المقدمة الغزلية في قصيدة دريد - موافقًا إياه أيضًا: "أن الآخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولًا عن التشبيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة، وإنما تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة، وحين أخذ ثأره وأدرك طلبته". قراءة في الأدب القديم، ص 367. وأرى أن هذه القصيدة ليست في الرثاء؛ بل في تعليل استمرار بكائه على أخيه بتمجيد مآثر، وهو أصل المعنى في النص، بدليل أنها قيلت بعد مقتله بسنة كما قال ابن رشيق، وبدليل ما يلي:

- أن ابتداء هذه القصيدة المنتقاة لابن دريد لم يكن تشبيبًا؛ لأنه ليس فيه ذكر محاسن وأوصاف المرأة.
- ما جاء في مطلع القصيدة من ذكر رث الحبل بعاقبة لم تكن متوقعة من قبل، وخالفت ما كان موصولًا بينهما، على ما فيه من معنى الحزن لهذه النهاية غير المتوقعة، فإنه بادر في البيت الثاني بذكر ما يشبه الذم لهذا الوصل الذي كان بقوله: "ولم أحمد إليك نوالها"؛ ثم بذكر الإصرار على هذه القطيعة، وعدم إمكان الرجوع عنها بقوله: "ولم ترج فينا ردة اليوم أو غد"، وهذا الرجاء - الذي لم يكن - هو منها فيه، أي هي لم ترجُ؛ لأنها استيقنت عدم إمكان وصل ما انقطع مرة أخرى. وعلى هذا فإنه ليس ثمة ندم لدى الشاعر على انقطاع هذه الصلة، ولا يعد المطلع - من ثم - تغزلًا أو نسيبًا أو تشوقًا.
- يلاحظ على المقصد الدلالي الثاني - وهو وصف حمول الحي الراحلة - عدم تفصيل أوصافها، والاكتفاء بتشبيهها في كثرتها وتقاربها بالخيل المتجمعة في مربطها، وبالنخيل الطوال المقطوعة السوق [وليس واضحًا معنى التتميم في البيت، وهو قوله: "ولم يخبط ولم يتعضد].
- مع ما في الإشارة الخفية في "المجرم سوقه" إلى ما أصاب أخاه من تمزيق جسده في الحرب.
- القفز مباشرة إلى ذكر حادث مقتل أخيه بواو الاستئناف العجلة.

النص	الغرض	المقاصد	الأبيات	جذر المعنى
	واحدًا هو رحيل أم معبد).	4- تمجيد مآثر أخيه عبد الله.	30-19	المقصد الأول والثاني غرضًا مستقلًّا؛ فالعلاقة السببية بينه وبين المقصد الثالث (الذي سيكون ابتداء الغرض الثاني) واضحة جلية.
2- مرثية أبي ذؤيب الهذلي.	رثاء بنيه السبعة.	1- تفسير كثرة البكاء وقلة النوم. 2- الموت غاية كل حي. 3- الموت غاية حمار الوحش وأتنه المتنعمين بالري والطعام والنشاط. 4- والموت نهاية الثور الوحشي المتغلب على كلاب الصيد. 5- والموت نهاية البطلين الماجديْن المتدرعين بكل أسباب القوة وعناصر البقاء.	11-1 17-12 38-18 51-39 67-52	تعزية النفس بأن الموت غاية كل حي.
3- مرثية علقمة ذي جدن الحميري.	رثاء ممالك وملوك حمير.	1- الموت نهاية كل حي من الملوك حتى الملوك العظام. 2- الأمجاد التي خلفها الملوك الراحلون.	9-1 26-10	بكاء ملوك قومه وتمجيد آثارهم.
4- مرثية متمم بن	رثاء أخيه مالك بن نويرة.	1- كرمه في نفسه وأهله. 2- كرمه مع الناس.	3-1 8-4	التفجع بمقتل أخيه مالك.

النص	الغرض	المقاصد	الأبيات	جذر المعنى
نويرة.		3- افتقاده في وقت الشدائد. 4- شجاعته في الحرب. 5- تفجعه على أخيه ودعاؤه بسقيا قبره. 6- وصف أخوتهما وكيف كانت. 7- مواساة زوجته له. 8- تجلده في مصيبته. 9- لوم المحلّ قدامة بن الأسود على شماتته بمقتل مالك، وعدم مواراته إياه بثوبه.	12-9 17-13 24-18 29-25 40-30 45-41 هي ثمانية أبيات زائدة في رواية مخطوطة كوبريلي والمتحف البريطاني[1].	
5- مرثية مالك بن الريب التميمي.	رثاء النفس.	1- تذكر الأحباب أهل الغضا. 2- تذكر الأحباب من الأهل والأبناء والفرس والنسوة. 3- الوصية بكيفية الدفن. 4- التشوق للأهل.	3-1 14-4 34-17	تذكر الأحباب في لحظات الحياة الأخيرة.

(1) انظر: الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 755، هامش 4.

النص	الغرض	المقاصد	الأبيات	جذر المعنى
			51-35	
6- مذهبة مالك بن العجلان.	التهديد بالحرب.	1- ذكر خذلان بني الحارث بن الخزرج له في مقابل حَدَب بني عمرو بن عوف على القاتل سمير. 2- تهديد بني عمرو بن عوف بالحرب.	7-1 25-8	تهديد بني عمرو بن عوف بالحرب إن لم يدفعوا دية مولاه كاملة.
6- مذهبة عمرو بن امرئ القيس.	التهديد المقابل بالحرب.	1- رد رأي مالك بن العجلان في دية مولاه. 2- التهديد بالحرب.	5-1 16-6	رد رأي مالك بن العجلان، وتهديده بالحرب.
7- مجمهرة عبيد بن الأبرص.	بكاء الديار المقفرة من الأهل والعمر الطويل في الضعف(*).	1- إقفار الديار بالقتل والموت سنة ماضية(**). 2- استعراض حكمة العمر الطويل. 3- تذكر أيام الشباب والقوة.	13-1 25-14 44-26	معاناة الوحدة والوحشة والضعف من طول العمر.
8- منتقاة عروة بن	مدح صورة الصعلوك التي	1- تبرير كثرة غاراته. 2- ذم صورة الصعلوك	9-1 13-10	الرد على عتاب زوجته له على كثرة غاراته

(*) اخترت رواية علي محمد البجاوي لابتداء هذه المجمهرة؛ لاتساق المعنى، ولعدم تكرار البيت 11، والترتيب عند البجاوي على النحو التالي: 4-5-6-7-8-9-10-1-2-3-12.

(**) أرى أن هذا هو غرض النص، وليس كما ذكر الهاشمي في ج1، ص 459 هامش 1، "ناقلًا عن الورد، ص 55: "يظن أنها قيلت بعد إحدى غارات الحارث الأعرج ملك غسان على بني أسد"؛ لأن الغارة لم تأت - قطعًا - على قومه جميعًا؛ بل أشار إلى أن إقفار تلك الديار كان بتوارث الموت "شعوب"، أو بضعف تقدم العمر، وهو المعنى الذي جاء في البيتين 2-3.

النص	الغرض	المقاصد	الأبيات	جذر المعنى
الورد	هي صورة نفسه.	الخامل. 3- مدح صورة الصعلوك الجريء الكريم.	19-14	بالدفاع عن صورة الصعلوك بكل خصاله الحميدة.
9- مذهبة أحيحة بن الجلاح.	الفخر بنفسه.	1- تركه للهو وهو مقتدر عليه. 2- جهل الإنسان بما ستأتي به الأيام مهما أحسن التدبير لها. 3- ذكر خداع زوجته له؛ برغم إعداده العدة للغزو. 4- الافتراق نهاية كل مجتمع من الناس.	4-1 10-5 18-11 21-19	الدفاع عن نفسه أمام الاتهام المضمر من قومه بخداع زوجته له.
10- مشوبة النابغة الجعدي.	1- استعراض خبرات الحياة والذكريات. 2- وصف سرعة الناقة والفرس. 3- الفخر. 4- هجاء أزد.		13-1 48-14 67-49 76-68	الفخر بنفسه، بحيازته خبرات الحياة والمكانة العالية وأسباب القوة؛ في الناقة والفرس، ثم بانتمائه إلى قوم حازوا كل أسباب الشرف من النبل والشجاعة والبأس في المعارك.

ويلاحظ على هذه القصائد جميعًا –باستثناء مشوبة النابغة الجعدي– خلوها من تعدد الأغراض، أي خلوصها لغرض واحد، تتعدد مقاصده الدلالية، وتبرز فيها بوضوح تلاحم هذه المقاصد جميعًا بلحمة جذر المعنى في النص، فكأن خلوها من النسيب كان مؤذنًا بوحدة الغرض الشعري، ولعل هذه الملاحظة تمثل طابعًا عامًّا يفرق بين القصائد ذات المقدمات الطللية –التي

هي جزء من غرض النسيب – وبين تلك التي لم تلتزم بهذه المقدمات الطللية(*).

الخاصية الثانية:

اختلاف وظيفة غرض النسيب في بناء النصوص. يتضح هذا الاختلاف من خلال عرض وتحليل الجدول التالي، الذي يضم النصوص التي جاء فيها غرض النسيب، ويحتوي على بيان النص وأغراضه المكونة له وأرقام وعدد الأبيات، كما جاءت في نسخة د. الهاشمي، ثم طريقة انتقال الشاعر من غرض النسيب إلى الغرض التالي له. مع ملاحظة أن ذكر مقصد وصف الناقة يجيء غالبًا ضمن غرض من الأغراض؛ إما غرض النسيب أو الفخر أو المديح:

النص	الأغراض	الأبيات	عدد أبيات الغرض	طريقة الانتقال بين الأغراض
1- سمط لبيد بن ربيعة.	- النسيب. - وصف الناقة والفخر.	1-15 16-54 55-89	15 38 34	- نحوية بالعطف بـ"بل"، ولفظية بتكرار العلم "نوار"، ودلالية باستمرار المعنى. - لفظية بتكرار "نوار"، ودلالية باستمرار المعنى، ونحوية بالعطف بـ "بل".
2- سمط طرفة بن العبد.	- النسيب. - وصف الناقة والفخر بنفسه.	1-10 11-46 47-115	10 36 68	- لفظية بواو الاستئناف، ودلالية باستمرار الوصف. - لفظية بواو الاستئناف، ودلالية باستمرار معنى الشجاعة.
3- مجمهرة بشر بن أبي خازم	- النسيب. - الفخر.	1-7 8-24	7 16	- دلالية مستنبطة.

(*) يُستدرك بهذه الملاحظة على ما ذكر د. محمد أبو موسى من عدم سهولة البحث عن طابع عام يفرق بين هذين النوعين من القصائد. انظر: قراءة في الأدب القديم، ص 367.

النص	الأغراض	الأبيات	عدد أبيات الغرض	طريقة الانتقال بين الأغراض
الأسدي.				
4- مجمهرة خداش بن زهير.	- النسيب. - التهديد.	7-1 24-8	7 16	- لفظية بفاء الاستئناف، ودلالية مستنبطة.
5- منتقاة المسيب بن علس.	- النسيب. - المديح.	6-1 14-7	6 8	- لفظية بواو الاستئناف، ودلالية مستنبطة.
6- منتقاة المرقش الأصغر.	- النسيب ووصف الفرس.	10-1 17-11	10 7	- دلالية مستنبطة.
7- مذهبة قيس بن الخطيم.	- النسيب. - الفخر.	5-1 35-6	5 30	- دلالية مستنبطة.
8- مشوبة القطامي.	- النسيب. - المديح.	31-1 42-32	31 11	- دلالية مستنبطة.
9- مشوبة الشماخ بن ضرار.	- النسيب ووصف سرعة الناقة.	3-1 52-4	3 48	- نحوية دلالية بجملة الحال.
10- ملحمة ذي الرمة.	- النسيب ووصف سرعة الناقة.	27-1 126-27	27 99	- نحوية دلالية بالمفعول المطلق.
11- ملحمة الطرماح بن	- النسيب. - وصف وعورة	19-1 26-20	19 7	- لفظية بالاستئناف بالواو. - دلالية مستنبطة.

النص	الأغراض	الأبيات	عدد أبيات الغرض	طريقة الانتقال بين الأغراض
حكيم.	الطريق. - الفخر.	41-27	15	

يستخلص من تحليل هذا الجدول أن وظيفة غرض النسيب في نصوص الجمهرة محل التحليل تنحصر في ثلاث وظائف، تتوقف على باعث النغم في النص. فإذا كان باعث النغم هو العلاقة بالمرأة - رضًا أو غضبًا - تكون وظيفة النسيب إما بناء الدلالة الكلية في النص، ويكون من ثم نسيبًا خالصًا، أو يكون النسيب فلكًا دلاليًّا، تدور فيه أغراض النصوص الأخرى.

أما حين يكون باعث النغم المنافرات [1] مدحًا أو فخرًا أو هجاء أو تهديدًا، فإن النسيب في النص يكون مفتاح النغم فقط، المهيئ المتلقين لاستقبال غرض النص الرئيس. وهذه الوظيفة هي التي عبر عنها ابن قتيبة في نصه السابق الاستشهاد به، بقوله: "... ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه؛ لأن التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب؛ لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء..."[2].

(1) المنافرات: من التنافر، أي المغالبة والتفاخر. [القاموس المحيط، ج2، ص 151]. وأراها تضم معاني المدح مع الهجاء والفخر والتهديد؛ لأن المديح يضم معاني الانتصار على الأعداء والعلو عليهم؛ حسبًا وقوة ... إلخ.

(2) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص 76. وانظر مثل هذا التفسير النفسي لهذه المطالع، وكيف أن عناصرها جميعًا - من وقوف على الطلل والبكاء عليه والرحلة وذكر الشباب ... إلخ - يجمعها شعور عام، هو الحنين والشوق؛ ولهذا ما جعلها الشعراء الأصوات الأولى في قصائدهم. انظر: د. محمد أبو موسى: قراءة في الأدب القديم، ص 365.

وقد ذكر د. عبد الله الطيب أن للنسيب في جملته أغراضًا أربعة؛ أولها: رمزي محض، وثانيها: الحنين، وثالثها: الغزل، ورابعها: النعت، وأنها تتداخل وتختلط، وأن التفريق بينها من أجل التوضيح والتحليل. انظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب، طبعة جامعة الكويت 1993، ج3، ص 114. والغرضان الثاني والثالث يوافقان وظيفة مفتاح النغم والنسيب الخالص، أما الأول فلا ترى هذه الدراسة أنه كان من وظائف النسيب في القصيدة القديمة قط، وأما الرابع فليس واضحًا المقصود بالنعت.

وللتمييز بين النصوص التي مثل النسيب فيها فلكًا دلاليًّا تدور فيه الأغراض الأخرى، وتلك التي كان النسيب فيها مجرد مفتاح للنغم الشعري، يمكن اصطناع الضابط التالي: وهو ملاحظة عدد أبيات غرض النسيب في النص مقارنًا بعدد أبيات الغرض أو الأغراض الأخرى فيه، مضمومًا إليها ملاحظة طريقة انتقال الشاعر من غرض النسيب إلى الغرض التالي له، فإذا كان عدد أبيات غرض النسيب أكبر، وكان الانتقال إلى الغرض التالي نحويًّا دلاليًّا أو لفظيًّا دلاليًّا، كان النسيب فلكًا تدور فيه أغراض النص جميعًا، وإذا كان عدد أبياته أقل، وكان الاتصال دلاليًّا مستنبطًا، كان النسيب مجرد مفتاح للنغم الشعري؛ ذلك أن بسط الأبيات في غرض النسيب مع الاتصال النحوي الدلالي خاصة يعني احتفال الشاعر به، ويعني امتداد نفس المعنى، ولكن في اتجاه آخر.

وقد خلص استخدام هذا الضابط إلى النتائج التالية:

1- جاء النسيب خالصًا في نصوص المرقش والشماخ وذي الرمة؛ لخلو هذه النصوص الثلاثة من أي غرض من المنافرات. كما يلاحظ إحكام بناء النص في انتقاله من مقصد إلى آخر؛ حيث جاءت طرق بناء المقاصد: وصف الأطلال، وصف المحبوبة، وصف الخيال، وصف الناقة، متصلة نحويًّا ودلاليًّا أو لفظيًّا ودلاليًّا، عدا مقصد وصف الخيال وريق المحبوبة؛ إذ جاءا متصلين لفظيًّا، ووصف فرس الصيد والحرب في منتقاة المرقش؛ إذ جاءت منفصلة لفظيًّا ونحويًّا، وإن لم تكن منفصلة دلاليًّا. وطريقة بناء الأبنية الدلالية بالاتصال النحوي الدلالي واللفظي الدلالي دل على تلاحم البناء الدلالي بين الأبنية؛ ومن ثم كانت دليلًا على أن وصف سرعة الناقة والفرس في هذه النصوص هو جزء من غرض النسيب.

2- جاء النسيب في سمط لبيد بن ربيعة [النسيب ومعه وصف الناقة] أكبر عددَ أبيات من الفخر (34/53)، وجاء الانتقال من غرض النسيب إلى غرض الفخر باتصال لفظي نحوي دلالي؛ ومن ثم كان النسيب في هذا النص فلكًا دلاليًّا يدور فيه غرض الفخر، وباعث النغم في النص، وهو مغاضبة "نوار" له يؤكد هذه النتيجة.

3- جاء النسيب أقل عددَ أبيات من الأغراض الأخرى في النصوص التالية:

- سمط طرفة بن العبد (105/10)، وجاء الانتقال إلى غرض الفخر بواو الاستئناف.
- مجمهرة بشر بن أبي خازم (16/7)، وجاء الانتقال إلى الفخر باتصال دلالي مستنبط.
- مجمهرة خداش بن زهير (16/7)، وجاء الانتقال إلى غرض التهديد بفاء الاستئناف التي ترتب كلامًا على كلام.
- منتقاة المسيب بن علس (8/6)، وجاء الانتقال إلى المديح بواو الاستئناف.
- مذهبة قيس بن الخطيم (30/5)، والانتقال إلى الفخر دلالي مستنبط.
- مشوبة القطامي (31/11)، ورغم مخالفة ضابط عدد الأبيات بين الغرضين، بزيادة عدد أبيات النسيب عن أبيات المديح زيادة تقرب من الضعفين، فإن طريقة الانتقال بين غرض النسيب والمديح كانت انتقالًا دلاليًّا مستنبطًا، كما أن طريقة الانتقال من مقصد وصف الأطلال (1-9) إلى مقصد وصف صعوبة الطريق الذي قطعه إلى علية، وقوة الناقة التي حملته إليها (10-23) طريق دلالي مستنبط أيضًا. يضاف إلى ذلك أن المقصد الدلالي الأخير في غرض النسيب بعد ذكر خيال علية (24-29)، وهو تمتعه بالأغيد الربل وبالصهباء (30-31)، وجعل كل الفصول الدلالية السابقة عليه من وصف الطريق والناقة، وقوة داعي الشوق الذي دعاه مع تمتعه بالغيد وبالشراب؛ جعل كل ذلك مفضولًا بالوصول إلى الممدوح. فقد بدأ غرض المديح بتخلص حسن، استمر فيه في وصف الناقة، أو استخلص هذه الأوصاف التفصيلية، فهي تشكو طول السفار وقد هزل لحمها من طول الترحال، لكن المفاجأة أن وجهتها أو محطة وصولها لم تكن إلى المحبوبة كما هو متوقع؛ بل إلى الممدوح، فكان الفلك الدلالي الذي دارت فيه كل الفصول الدلالية للنسيب هو أنه فضل الرحلة إلى الممدوح على الرحلة إلى المحبوبة التي وصفها، ووصف ما يبذله للوصول إليها، وقوة داعي الشوق إليها.
- ملحمة الطرماح بن حكيم (26/15)، وهذا النص أيضًا ينطبق عليه نفس تحليل

النص السابق، فبالرغم من زيادة عدد أبيات النسيب عن الفخر، فإن طريقة الانتقال من الغرض كله إلى غرض الفخر (27-41) كانت بطريق الانفصال اللفظي النحوي، وبالرابط الدلالي المستنبط؛ ومن ثم كان وصف الطريق المخوفة الصعبة دائرًا في فلك الفخر، الذي ابتدأه بالفخر بالصبر وقت الخوف، فكأن وصف هذه الطريق كان مقتضيًا أيضًا لهذه الصفة التي افتخر بها.

وتجدر الإشارة إلى أن النصوص التي يأتي النسيب فيها باعثًا للنغم قد مثلت في طريقة بنائها الدلالي من تتابع الأغراض والفصول الدلالية على النحو المعروف؛ الشكلَ المستقر لبناء القصيدة العربية والمكون من "المبدأ والخروج والنهاية". كما تجدر الإشارة إلى الوظيفة الإبداعية المهمة لهذا الشكل برمته، التي ذكرها د. عبد الله الطيب، مع وظيفة مفتاح النغم التي يؤديها النسيب في مبدأ هذه النصوص. فإذا كانت وظيفة مفتاح النغم التي يؤديها المبدأ أو المطلع هي – بتعبير د. الطيب: "أن يصطفي [الشاعر] السامع إلى نفسه، ثم إذا صار إلى حالة الجذب طلب أن يمد من نطاقها حتى يدخل السامع فيها ويشاركه ما يحس، ثم هو بعد ذلك يدفع بكلامه دُفَعا، حتى إذا بلغ نهاية ما تجيش به نفسه انقطع"[1]؛ فإن وظيفة شكل القصيدة، المبدأ والخروج والنهاية أنه: "يؤمنه شيئًا من العثار، ويرده إلى الإبانة عن ذات فؤاده في نفس واحد من غير اضطراب ولا تشويش"[2]. وهي نفس وظيفة الوزن والقافية التي يؤديها التزام الشاعر بهما [3]. ويصف د. عبد الله الطيب – بوعي خبير بلحظة الإبداع عند الشاعر – هذه الطريقة في الأداء بأنها "عسرة للغاية؛ إذ الشاعر أبدا قريب من أن تختلط عليه مسالك التعبير، فتخرج به عن حاق ما يجيش به صدره، إلى آخر يظنه منه وليس منه"[4].

وعلى الجملة فإنه يلاحظ اقتضاب غرض النسيب في قصائد المنافرات؛ لأن في حمية الفخر أو التهديد أو المديح مشغلة عن التريث عند فصول التغزل ومعانيه. وكما يلاحظ انفراده ببناء النص

(1) د. عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج3، ص 108.
(2) د. عبد الله الطيب، السابق، ن ص.
(3) د. عبد الله الطيب، السابق، ص 108-109.
(4) د. عبد الله الطيب، السابق، ص 108.

في الغزل الخالص؛ لأن وقوف الشاعر في هذا النسيب يكون مليًّا عند مقاصد التغزل من وقوف على الأطلال، ووصف للمحبوبة، ووصف خيالها، وظعنها الراحلة، وسرعة الناقة التي حملته إليها ... إلخ.

يضاف إلى هذه الملاحظة عن النسيب تشارب المعاني والمقاصد من الأغراض؛ فالفخر والهجاء مثلا قد جاءا أحيانًا مقاصد دلالية أو معاني جزئية ضمن غرض دلالي آخر. على سبيل المثال:

- في سمط طرفة بن العبد: جاء هجاء ابن عمه معنى جزئيًّا في الأبيات (73-76، 80-84) ضمن مقصد خلافه معه ودفاعًا عن نفسه، أو – بتعبير آخر: جاء هذا الخلاف مشوبًا بمعنى الهجاء.
- وفي مجمهرة خداش بن زهير جاء الفخر بقومه في الأبيات (14-16) مقصدًا دلاليًّا ضمن غرض التهديد (8-24)، ويمكن اعتباره معنى جزئيًّا.
- وكذلك في مذهبة مالك بن العجلان؛ حيث جاء الفخر بقومه وقوتهم في الحرب معنى جزئيًّا (10-17) ضمن غرض التهديد. وكذلك جاء الفخر المشوب بالتهديد أو التهديد المشوب بالفخر في مذهبة عمرو بن امرئ القيس (6-11، 15-16).
- وفي مذهبة أحيحة بن الجلاح جاء الفخر بنفسه مقصدًا دلاليًّا (1-4، 16-19) في سياق غرض النص ودلالته الكبرى، وهو الاعتذار عن انخداعه بمكر زوجته.
- وفي مشوبة النابغة الجعدي جاء هجاؤه لقبيلة أزد معنى جزئيًّا (74-76) ضمن غرض الفخر الذي شغل الأبيات (50-76).

الخاصية الثالثة(*):

اختلاف التغزل الخالص عن التغزل الذي هو مفتاح للنغم، واختلافهما عن التغزل الذي هو فلك دلالي تدور فيه أغراض النص في طبيعة الدلالات المعبر عنها، وفي مناسبة

(*) استمددت فكرة هذه الخاصية من د. محمد أبي موسى في كتابه "قراءة في الأدب القديم"، انظر، ص 370-383.

الابتداء لغرض النص.

فمن حيث طبيعة الدلالات المعبر عنها: جاء نصًّا لبيد بن ربيعة (النسيب فلك دلالي)، والشماخ بن ضرار الذبياني (نسيب خالص)، وكلاهما تغزل غاضب، خاليين من وصف المحبوبة، بينما طال وصف المحبوبة في نصي النسيب الخالص؛ نص المرقش (4 أبيات من 18)، ونص ذي الرمة (12 بيتًا من 126). أما النسيب الذي كان مفتاحًا للنغم فقد جاء وصف المحبوبة إشارات عابرة (طرفة بيتان – بشر بيت واحد – المسيب بيت واحد – قيس 3 أبيات – القطامي بيت واحد – الطرماح بيت واحد)، باستثناء نص خداش بن زهير الذي جاء فيه الوصف 4 أبيات من 24 بيتًا.

وكذلك وصف خيال المحبوبة، لم يجئ إلا في نصي الغزل الخالص للمرقش وذي الرمة دون سائر النصوص، سواء أكان غزلها فلكًا دلاليًّا أم مفتاحًا للنغم.

أما الشوق للمحبوبة فلم يجئ في نصي النسيب الخالص عند المرقش وذي الرمة، بينما جاء طلب ترك هذ الشوق وتعديته في نصي النسيب الغاضب عند لبيد والشماخ، وكذلك عند الطرماح بن حكيم، وهو في الفخر، وقد جاء في بيت واحد في نص بشر بن أبي خازم، وهو في الفخر أيضًا. في حين طال إلى ستة أبيات في مدحية القطامي، لكنه – كما سبقت الإشارة – كان نسيبًا موجهًا في غايته القصوى للممدوح لا للمحبوبة(**)، وإن كان قد خرج بشر بذلك عن اعتدال الفصول بين الطول والقصر الذي جعله حازم واحدًا من طرق إحكام مباني القصائد.

أما من حيث مناسبة الابتداء لغرض النص ففيه ما يلي:

المقصود بالمناسبة هنا هو عناصر مشتركة لفظية أو دلالية أو تصويرية بين غرض النسيب والغرض الذي يليه في النص، تكون ظاهرة أو تحتاج إلى إنعام نظر، وهي التي عبر عنها النقاد بقولهم: "دلالة المطلع على غرض القصيدة". يقول حازم القرطاجني في إحدى إضاءات المعلم

(**)لم أجد دلالة بينة لترتيب مقاصد التغزل في كل نص من النصوص التي مطلعها غرض النسيب، كالفارق بين ترتيب: الأطلال – الظعن – المحبوبة – الناقة، وترتيب: الأطلال – المحبوبة – الخيال ... إلخ. وكذلك لم أتبين فارقًا دلاليًّا يبنى على استخدام الشعراء في الابتداء بكلمات: الأطلال – الرسم والرسوم – الدمن – الديار، رغم الفروق بينها في دلالتها المعجمية.

الدال على طرق العلم بإحكام مباني القصائد وتحسين هيآتها: "ويجب أن تكون المبادئ جزلة، حسنة المسموع والمفهوم، دالة على غرض الكلام"[1].

ويقول عن مذاهب الإبداع في الاستهلال: "وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة؛ إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها، المتنزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرة ... وملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المفتتح مناسبًا لمقصد المتكلم من جميع جهاته"[2].

والمقصود بـ "المطلع" و"الابتداء" في هذه الدراسة هو غرض النسيب إجمالًا بمقاصده المختلفة، وليس الجملة الافتتاحية في النص، أو الجملتين الأوليين أو البيت والبيتين[3].

ولهذه الفكرة نظير أكثر وضوحًا وتفصيلًا واتساعًا في التطبيق في علم المناسبة، الذي موضوعه دراسة علة ترتيب آيات القرآن الكريم[4]. ومن مسائل هذا العلم دراسة علاقة فواتح السور بمضمونها أو بموضوعها أو بمقصدها. وقد يقصد بفاتحة السورة الجملة الأولى فيها أو الآيات الأولى[5].

---

(1) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 305.

(2) حازم القرطاجني: السابق، ص 309-310. وانظر كذلك، ص 284.

(3) جاء عند حازم القرطاجني، ص 282. العنوان التالي: "معلم دال على طرق العلم بما يجب في المطالع والمقاطع على رأي من قال: هي أوائل البيوت وأواخرها". وانظر كذلك، ص 286.

(4) انظر: برهان الدين البقاعي (أبو الحسن إبراهيم بن عمر): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق غالب المهدي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ = 1995م، ج1، ص 5.

(5) انظر: د. محمد أبو موسى: أسرار التعبير القرآني – دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص 25. وانظر: جلال الدين السيوطي: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: محمد عبد الله الدرويش، عالم التراث، الطبعة الأولى، 1404هـ = 1983م، ص 35؛ حيث أورد مناسبة افتتاح سورة النساء بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا مِنْهُمَا..﴾، ثم قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ لأكثر ما تضمنته السورة من أحكام العلاقات بين الناس من نكاح ومحرمات ومواريث متعلقة بالأرحام. وانظر أيضًا: جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة، 1398هـ = 1978م، ج2، ص 136؛ حيث ذكر نوعًا من حسن الابتداء، أي التأنق في أول الكلام، أخص منه =

من أمثلة هذه المناسبات أو العناصر أو الإشارات المشتركة بين المطالع النسيبية في النصوص وبين المقاصد والأغراض فيها، وهي عناصر وإشارات تصنع فارقًا أيضًا بين هذه المطالع(*):

أ- افتتاح النسيب الغاضب في سمط لبيد بن ربيعة ومشوبة الشماخ بن ضرار بالفعل "عفا"، ودلالته على انمحاء الآثار، وخلو المكان من بقايا الحياة:

1- عَفَتِ الدِيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها.

2- عَفا بَطنُ قَوٍّ مِن سُلَيمى فَعالِزُ.

وهي إشارة لغوية ظاهرة إلى مضمون النصين، فكلاهما عازم على صرم هذه الخلة وقطع هذه الصلة، راحلًا، مغاضبًا مسرعًا، على ظهر ناقة من أسرع ما تكون النوق، حافظًا كبرياءه وأنفته أن تطامن منها خلة متعرضة أو شك معجز:

20- فَاقطَع لُبانَةَ مَن تَعَرَّضَ وَصلُهُ وَلَشَرُّ واصِلِ خُلَّةٍ صَرّامُها

21- وَاحبُ المُجامِلَ بِالجَميلِ وَصَرمُهُ باقٍ إِذا ضَلَعَت وَزاغَ قِوامُها[1]

= هو براعة الاستهلال، وهو أن "يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلَّم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام من أجله". والتحليل النصي المعاصر يهتم أيضًا بتحليل الجملة الأولى في النص، من حيث تركيبها في ذاتها، ومن حيث علاقتها ببقية أجزاء النص، ومن حيث تحكمها في هذه الأجزاء؛ إذ تمثل المحور الذي يدور عليه النص، ويكون ما بعدها غالبًا تفسيرًا لها؛ إذ يركز المرسل كل جهده في هذه الجملة كما يرى أصحاب هذا الاتجاه. انظر: د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية. دار قباء، القاهرة، الطبعة الأولى، 1431هـ = 2000م، ص 65-67.

(*) اكتفيت بهذه النماذج الأربعة. وإن كان استقصاء هذه المناسبات موضوعًا خصبًا ما زال للبحث؛ إذ تكشف نتائجه عن طرق جديدة لبناء النص الشعري القديم وراء ما أثبتته هذه الدراسة، وتبيين دقة العروق والشرايين التي يتدفق فيها جمال الإبداع في هذا البنيان الفني الحي.

(1) الهاشمي: الجمهرة: ج1، ص 357، ج2، ص 824.

وتعرض: لم يستقم. "المجامل" وهو الذي يظهر لك المودة، وسره خلاف ذلك. وفي رواية: المحامل: وهو المكافئ. ضلعت: اعوجت. وهاضم نفسه: ظالم لها. معارز: مجانب منقبض عنه. (انظر: ج1، ص 357، هامش 2، 4)، وص 824 هامش 2، 3، 4.

3- فَكُلُّ خَليلٍ غَيرُ هاضِمِ نَفسِهِ لِوَصلِ خَليلٍ صارِمٌ أَو مُعارِزُ

4- وَعَوجاءَ مِجذامٍ وَأَمرٍ صَريمَةٍ تَرَكتُ بِها الشَكَّ الَّذي هُوَ عاجِزُ[1]

وإن كان غضب لبيد أقل حدة من غضب الشماخ؛ إذ بعد هذا العفاء الذي كافح به وجه النص ظهرت "دِمَنٌ تجرم بعد عهد أنيسها حجج خلون"، وظلت منها آثار باقية "كأنها زبر تجد متونها أقلامها، أو رجع واشمة...". ثم هو يطلب من نفسه - على التجريد - قطع الصلة، أما الشماخ فقد قفز مسرعًا على ظهر ناقته، بدلالة الفعل الماضي "تركتُ"، وبدلالة جملة الحال "كأن قتودي جأب مطرد"، التي تصور هيأته، وهو معتل ظهر ناقته، وهي تسرع به فتضطرب أعواد الرحل عليها.

أما افتتاحيات النصوص الأخرى، فقد كانت تساؤلات هادئة أو أقل صخبًا، فخداش يتهدد قومه بحربهم إن هم اعتدوا على حلفائه بني جسر، بدافع الإشفاق على الأهل وذوي الرحم والقربى، والمرقش يصدح بتغزله العذب المشوق، ومثله ذو الرمة يصدح بالتساؤل المتعجب من كثرة البكاء. وكلها تساؤلات لا تحمل معنى الإنكار أو التوبيخ؛ بل هي مفعمة بالتقرير لهذه الأحوال التي يظهرون تعجبهم منها؛ لأن ما تلى هذه التساؤلات من معان نسيبية تقرهم على غزارة هذا البكاء:

يقول خداش:

1- أَمِن رَسمِ أَطلالٍ بِتُوضِحَ كَالسَطر فَماشِنَ مِن شَعرٍ فَرابِيَةَ الجَفْرِ

2- إِلى النَخلِ فَالعَرجَيْنِ حَولَ سُوَيقَةٍ تَأبَد في الأُدمِ الجَوازي وَالعُفرِ

3- قِفارٌ وَقَد تَرعى بِها أُمُّ واقِعٍ مَذانِبُها بَينَ الأَسِلَّةِ وَالصَخرِ[2]

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 824.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 523-524.

وتوضح وماشن وشعر ورابية الجفر النخل والعرجين: أسماء مواضع، وسويقة: جبيل. الأدم الظباء المشرب لونها بياضًا. الجوازي: التي تجترئ بالرطب عن اليابس. العفر: البيض من الوعل. أم واقع: اسم امرأة. المذانب: مسايل الماء. الأسلة: الأودية.

=

ويقول المرقش:

1- أَمِنْ رَسْمِ دارٍ دمع عَيْنَيكَ يَسْفَحُ غَدا من مَقامٍ أَهْلُهُ وتَرَوَّحُوا

2- تُزَجِّي بِها خُنْسُ الظِّباءِ سِخالَها جَآذِرُها بالجَوِّ وَرْدٌ وأَصْبَحُ[1]

ويقول ذو الرمة:

1- ما بالُ عَينِيكَ مِنها الماءُ يَنسَرِبُ كَأَنَّهُ مِن كُلى مَفرِيَّةٍ سَرِبُ

2- وَفراءَ غَرفِيَّةٍ أَثْأى خَوارِزُها مُشَلشِلٌ ضَيَّعَتهُ بَينَها الكُتَبُ[2]

ب- الدلالات الغنية بالوداعة ورونق الشباب والاطمئنان والري، واتساع رقعة البياض بكثرة الظباء والوعول البيضاء في مجمهرة خداش بن زهير .. هذه المعاني البهيجة جاءت في نسيب مفتتح به تهديد وتحذير. وبالرغم من التناقض البادي لأول النظر، فإن معاودة النظر في النص تزيل هذا التناقض؛ إذ يتبين أن هذه الدلالات هي مؤشرات وإشارات إلى طبيعة هذا التهديد؛ إذ ليس فيه عنف التهديد، ولا غلظة العداوة أو قسوتها؛ بل يكتنفه جانب من اللين لتوجهه إلى قوم الشاعر بني عامر بن صعصعة، يظهر هذا اللين والإشفاق في عدة عناصر، مثل:

مدح الذين توجه إليهم بالتهديد:

=

انظر: ص 523، هامش 4، ص 524، هامش 1، 3.

(1) الهاشمي: السابق، ج1، ص 553.

والجو: موضع. الورد: الذي تعلوه حمرة. والأصبح: أشد حمرة منه شيئًا. والخنس قصيرة الأنف. الجآذر والسخال: أولاد البقر وصغارها. انظر: ص 553، هامش 4، ص 554.

(2) الهاشمي: السابق، ج2، ص 942.

الكلي: جمع كُلية، وهي ثقب المزادة. المفرية: المقطوعة. وفراء: واسعة أو جدية. غرفية: مدبوغة بالغرف وهو شجر. أثأى: خرم ما بين الخرزتين، فصارت واحدة في سيل الماء منها [بغزارة أكثر] الخوازر: جمع خارزة، وهي التي تحيط المزادة. مشلشل: المتصل القطر. الكتب: واحدتها كُتبة، وهي "أطراف فم المزادة المقطعة، انظر: ج2، ص 942، هامش 1، 2.

8- فَيا راكِبا إِمّا بلغت فَبَلِّغَن عُقيلا إِذا لاقَيتَها وَأَبا بَكرِ

9- بِأَنَّكُمُ مِن خَيرِ قَومٍ لِقَومِكُم عَلى أَنَّ قَولًا في المَجالِسِ كَالهُجرِ[1]

ومثل هذا الاحتراس في قوله "عَلى أَنَّ قَولًا في المَجالِسِ كَالهُجرِ"، والذي يؤديه حرف التشبيه الكاف، ففيه من التلطف في المصارحة ما يكفكف من حدة العتاب والتحذير.

ومثل هذا الاحتراس بأداة التشبيه الذي جاء أيضًا في البيت التالي له:

10- كَأَنَّكُم خُبِّرتُمُ أَو عَلِمتُمُ مَوالِينا مِمّا يَنامُ وَلا يَسري[2]

فشبه إقدامهم على حرب مواليه بني جسر، وعدم تقديرهم لعواقب ذلك بمن أخبر أو علم بأن بني جسر ليسوا أهل حرب ونزال. ثم هذه الكتابة عن الحرب وشدة البأس فيها بعدم النوم والسرى.

ثم ختام النص بندائهم وتذكيرهم بالأخوة الشقيقة، المحذرة لهم من عقبى الاعتداء على حلفائه:

24- فَيا أَخَوَينا مِن أَبينا وَأُمِّنا إِلَيكُم إِلَيكُم لا سَبيلَ إِلى جَسرِ[3]

ج- قطع سياق التغزل في مدحية القطامي، بشكوى الدهر وتغير الأخلاء وسوء الحال، ثم العودة لسياق التغزل؛ فقد بدأ نسيبه بالتسليم على الطلل، والدعاء له بطول السلامة ووصفه، ثم استطرد إلى شكوى الدهر وتبدل الحال، ثم عاد إلى وصف شوقه إلى عُلية، ووصف مشقة الوصول إليها عبر طريق ينضي الركاب القوية النشيطة:

5- كانت منازلَ مِنَّا قد نحُلُّ بها حتى تغيَّرَ دَهرٌ خائِنٌ خَبِلُ

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 525.
(2) الهاشمي: السابق، ن ص.
(3) الهاشمي: السابق، ج1، ص 528.

6- لـيس الجديـدُ بـه تبقـى بـشاشتُه إلا قلـــيلًا ولا ذو خُلـــةٍ يَـــصِلُ

7- والعَـيشُ لا عَـيشَ إلَّا مـا تَقَـرُّ بـه عَينًـا ولا حـالَ إلا سـوفَ تَنتَقِـلُ

8- والنَّـاسُ مَـن يَلـقَ خـيرًا قـائلونَ لـه مـا يَـشتَهي ولأُمِّ المخطِـئ الهَبَـلُ

9- قـد يُـدرِكُ المتـأني بَعـضَ حاجَتِـهِ وقـد يكـونُ مـع المُـستَعجِلِ الزَّلَـلُ

10- أضْـحَتْ عُلَيّـةُ يهتـاج الفـؤادُ لهـا وللرواسِـمِ فـيما دونَهـا عَمَـل[1]

وكلها معان ليست من سنخ معاني التغزل، ولا تجري في واديه، لكنها دلت وهي في ابتداء النص، على غرضه وهو المديح، وتناظرت مع بعض المعاني الواردة فيه، ففي مقابل معنى البيت السابع من ضيق العيش جاء البيتان 38، 39:

38- مَـن صـالحوه رأى في عَيـشهِ سَـعة ولا تـرى مَـن أرادوا ضُرَّه يئِـلُ

39- كَـم نـالني مِـنهُمُ فـضلٌ عـلى عَـدَمٍ إذ لا أكـادُ مِـن الإقتـارِ أَحتَمِـلُ[2]

وفي مقابل الخلة التي لا تصل في البيت السادس، واختلال مقاييس الناس، واعتبارهم معيار الغنى في التقييم في البيت الثامن، جاء قوله:

41- فـلا هُـمُ صـالحوا مَـن يبتغـي عَنتـي ولا هُـمُ كـدَّروا الخَيرَ الـذي فعَلُـوا[3]

- وقد جاءت مشوبة القطامي الوحيدة من بين نصوص الجمهرة موضع التحليل التي كان الطلل فيها مخاطبًا، فمنتقاة المسيب وهي في المديح خلت من ذكر الطلل أصلًا، وكل النصوص التي بدأت بذكر الأطلال تحدثت عنها بضمير الغائب. يقول:

(1) الهاشمي: السابق، ج2، ص 805. والخبل: المفسد. والدهر الخائن: المتنقص حالات الناس. الهبل: الثكل. الرواسم: التي سيرها الرسيم، وهو ضرب من السير السريع. انظر: هامش 1، 4، 6 ن ص.

(2) الهاشمي: الجمهرة ج2، ص 811. ويَئِل: ينجو، انظر هامش 4.

(3) الهاشمي: السابق، ن ص.

1- إنَّـا مُحيّـوكَ فاسـلَم أيُّهـا الطَّلـلُ وإن بَلِيتَ وإن طالت بك الطِّوَلُ[1]

فالطلل حاضر مخاطب يُحيَّى ويُدعَى له بطول السلامة، وهو ابتداء يستدعي للمخيلة موقف الشاعر أمام ممدوحه يحييه ويدعو له بالسلامة.

– ثم هناك تلك الخيوط الخفية البعيدة التي تربط السيول، الرائح السبط منها، والغادي المنهمر، التي غمرت ذلك الطلل البالي بالعطاء الغزير المنتظر من الممدوح:

3- صـافَت تَعَجَّـجُ أَعنـاقُ الـسيولِ بـه مـن بـاكرٍ سَـبِطٍ أو رائِـحٍ يَبِـلُ[2]

– ثم هناك الطول المفرط في وصف مشاق الرحلة إلى المحبوبة (10-29) والاقتضاب في مدح أبي عثمان وقريش (32-42). ولعل عدم الاعتدال هذا بين طول الفصول – كما يقول حازم القرطاجني – يعكس من ناحية أخرى رغبة القطامي في المزيد من الاستيثاق في إيجاب الحق على ممدوحيه – كما يقول ابن قتيبة – فهل كان قوله في استطراده بشكوى الدهر من سياق النسيب:

9- قـد يُـدرِكُ المتـأني بَعـضَ حاجَتِـهِ وقـد يكـونُ مـع المُـستَعجِلِ الزَّلَـلُ

إشارة إلى هذا التأني في وصف حاجته، وما كابد في سبيلها من مشاق الرحلة، أم هو استدراك باطني على نفسه أنْ تَعَجَّلَ بالشكوى قبل الوصول فبادر بالاعتراف؟

د – صبغ جذر المعنى في ملحمة الطرماح بن حكيم – وهو إظهار الاقتدار الكامل على النفس وعلى الغير وعلى الحياة، هذا الاقتدار المفعم بالأنفة والعزة – صبغ معاني النص وألفاظه وصوره بغير قليل من الكزازة والعنفوان، وقد تبدى هذا الملمح في النسيب في:

– غياب صورة المرأة وملامحها إلا من وصف "العيون المراض"، وفي تصوير حاله هو لا حال محبوبته طوال المفتتح، ثم في العنفوان البادي في طي نفسه عن الاستجابة لتطريب الصبا:

(1) الهاشمي: السابق، ص 804.

(2) الهاشمي: السابق، ن ص.

1- قَــلَّ في شَــطِّ نَهــرَوانَ اغــتِماضي وَرمــاني هَــوى العُيــونِ المِــراضِ

2- فَتَطَرَّبــتُ للــصِّبا ثُــمَّ أوقفــ تُ رِضَــا بِــالتُقى وَذو الــبِرِّ راضِ[1]

والذي يتبدى أيضًا في خلق ناقته النافرة التي لم تُنَلْ إلا في معارضة، الجريئة على عدم الحمل:

10- سَــوفَ تُــدنيكَ مِــن لَمــيسَ سَــبَنتا ةٌ أَمــارَت بِــالبَولِ مــاءَ الكِــراضِ

11- أَضــمَرتْهُ عِــشرينَ يَومًــا وَنيلَــت يــومَ نيلَــت يَعــارَةً في عِــراضِ[2]

هذا العنفوان يتبدى أيضًا في قومه الذين يفتخر بهم في نبلهم وانتقامهم، وفي جراءتهم واستبسالهم:

28- نُــصُرٌ لِلــذَليلِ في نَــدوَةِ الحَيــ يِ مَرائيــبُ لِلثَــأي المُنهــاضِ

29- لَم يَفُتنــا بِــالوِترِ قَــومٌ وَلِلــضَيـ مِ رِجــالٌ يَرضَــونَ بِــالإِغماضِ

30- هَــل عَــدَتنا ظَعينَــةٌ تَطلُــبُ العَــ ز في الــسنين المَــواضي

31- كَــم عَــدُوٍّ لَنــا قُراسِــيَةِ العِــزْ زِ تَرَكنــا لَحــمًا عَــلى أَوفــاضِ[3]

وكذلك كان صبر حيوانه، ناقته السبتناة على شدة الظمأ:

13- عَوسَرانِيَّــةٌ إِذا انــتَفَضَ الخِمــ سُ نِطــافَ الفَــضيضِ أَيَّ انتِفــاضِ

14- وَأَوَت بِلَّــةُ الكَظــومِ إِلى الفَــظْ ظِ وَجالَــت مَعاقِــدُ الأَغــراضِ[4]

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 987.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 989. سبنتاة: جريئة. أمارت: قذفت. الكراض: ماء الفحل الذي تقذفه من رحمها. نيلت: وقع عليها الفحل. يعارة: نافرة. عراض: أي يعارضها الفحل في عدوها حتى ينالها. انظر: ن ص، هامش 1، 2.

(3) الهاشمي: السابق، ج2، ص 993-994. الثأي: الفساد. الإغماض: النقيصة. قراسية: عظيم الكبر، شديد منيع. الأوفاض: الحجر الذي يجزر عليه الجزار. انظر: هامش 5، ص 993، وهامش 2، 4، ص 994.

(4) الهاشمي: السابق، ص 989-990. عوسرانية: عسيرة اللقاح، شديدة. انتفض: استُهلك واستُنفد. النطاف: بقايا الماء. الخمس: ورود الإبل الماء اليوم الخامس بعد شربها الأول. أوت: رجعت. بلة الكظوم: البلل الذي في بطن =

مشيرًا به إلى صبر قومه على قسوة الهول:

27- إِنَّنـــا مَعـــشرٌ شَـــمائِلُنا الـــصَبـ رُ إِذا الخَـــوفُ مـــالَ بِالَاحفـــاضِ[1]

والكزازة البادية في الألفاظ لا تخفى، أما كزازة المعاني التي صبغت مقاصد النسيب فمنها "أمارت بالبول ماء الكراض"، والتي حملت كزازتها إلى غرض الفخر في وصفه الطعن الذي يطعن به قومه الأعداء حين مجالدتهم:

34- بِجِلادٍ يَفري الشُئونَ وَطَعنٍ مِثلِ إيزاغِ شامِذاتِ المَخاضِ[2]

الخاصية الرابعة:

يلاحظ في الجدول (2) طرق بناء الفصول والأغراض في النصوص ذات المطالع الغزلية، أن هناك فروقًا في طرق الانتقال والبناء بين النصوص التي جاء النسيب فيها خالصًا أو فلكًا دلاليًا، تدور فيه أغراض النص، وبين تلك التي كان النسيب مفتاحًا للنغم فيها على النحو التالي:

أ- نصوص النسيب الخالص (المرقش – الشماخ – ذو الرمة): تراوحت طرق الانتقال أو البناء بين الانتقال اللفظي الدلالي (بعناصر دلالية)، والانتقال النحوي الدلالي.

ب- نصوص النسيب الفلك الدلالي: (لبيد بن ربيعة): جاءت الانتقالات بين الغرضين، النسيب والفخر، ومعهما مقصد وصف سرعة الناقة بطريق البناء اللفظي النحوي الدلالي.

ج- نصوص النسيب: مفاتيح النغم: (طرفة بن العبد – بشر بن أبي خازم – خداش بن زهير – المسيب بن علس – قيس بن الخطيم – القطامي – الطرماح بن حكيم):

=

بطن الناقة التي لا تجتر. الفظ: ماء الكرش. جالت: اضطربت. الأغراض: حزام الرحل، وجولانها من الضمور والهزال. انظر: هامش 4، 5 ص989، وهامش 1 ص990.

(1) الهاشمي: السابق، ص 993.

(2) الهاشمي: السابق، ص 995. والإيزاغ: أن ترمي الناقة ببولها. والشامذات: الإبل التي ترفع بأذنابها مثل الشول. المخاض: الحوامل.

تراوحت طرق الانتقال والبناء فيها بين الاستئناف بالواو أو الفاء، وبين الرابط الدلالي الخفي الذي يحتاج إلى استنباط.

والنتيجة المستخلصة من هذا التحليل أن بناء المقاصد والأغراض في النوعين الأولين من النصوص أكثر تلاحمًا، وأشد إحكام بناء من النوع الأخير؛ لأن الاستئناف بالواو - وهو الغالب - يضم كلامًا إلى كلام، كما أن الدلالة الخفية الرابطة بين الأغراض وبين المقاصد ليست في قوة الدلالات الظاهرة التي تتبدى في الروابط اللفظية، والعناصر الدلالية المستمرة بين الأغراض وبين الفصول.

الخاصية الخامسة:

وضوح تقسيم المقاصد الدلالية وثباتها تحت غرض النسيب، وعدم وضوح ذلك في الأغراض الأخرى، سواء أكانت هذه الأغراض في نصوص لها مقدمات غزلية أم لا. بيان ذلك أن غرض النسيب تحته مقاصد دلالية مستقرة، هي: الوقوف على الأطلال ووصف الديار - وصف المحبوبة - وصف الظعن الراحلة - وصف خيال المحبوبة - وصف صعوبة الطريق إليها، وصف الناقة التي حملته إليها أو عنها.

فهذه المقاصد الدلالية المستقرة يأتي بعضها أو معظمها في النصوص التي فيها غرض النسيب، بحسب استيفاء الشاعر لأركان الغرض. أما أغراض المديح والفخر والهجاء والتهديد فإن مقاصدها الدلالية ليست على هذا النحو من الاستقرار والوضوح المطرد في النصوص، بمعنى أن كل نص من هذه النصوص له مقاصد دلالية تختلف في نفس الغرض. والجدول التالي يؤكد هذه الملاحظة:

الغرض	النص	المقاصد الدلالية	الأبيات
1- النسيب.	سمط لبيد بن ربيعة.	1- وصف الديار.	11-1
		2- وصف الظعن الراحلة.	15-12
		3- قطع صلة نوار بالرحلة.	23-16
		4- وصف سرعة الناقة.	53-24

الغرض	النص	المقاصد الدلالية	الأبيات
	سمط طرفة بن العبد.	1- الوقوف على الأطلال. 2- وصف الظعن الراحلة. 3- وصف المحبوبة.	2-1 5-3 10-6
	مجمهرة بشر بن أبي خازم.	1- وصف الديار. 2- وصف المحبوبة والشوق إليها. 3- وصف الناقة.	2-1 5-3 7-6
	مجمهرة خداش بن زهير.	1- إقفار الديار. 2- وصف المحبوبة.	3-1 7-4
	منتقاة المسيب بن علس.	1- وصف الديار. 2- وصف المحبوبة. 3- وصف الظعن الراحلة.	2-1 3 6-4
	منتقاة المرقش الأصغر.	1- وصف الديار. 2- وصف خيال المحبوبة. 3- وصف ريق المحبوبة. 4- وصف الفرس.	2-1 7-3 10-8 17-11
	مذهبة قيس بن الخطيم.	1- الوقوف على الأطلال. 2- وصف المحبوبة.	2-1 3-5
	مشوبة القطامي.	1- الوقوف على الأطلال. 2- شكوى الدهر. 3- وصف الطريق إلى المحبوبة. 4- وصف قوة النوق التي تقطعه. 5- وصف داعي الشوق إليه.	5-1 9-5 12-10 23-12 29-24

الغرض	النص	المقاصد الدلالية	الأبيات
	مشوبة الشماخ بن ضرار.	1- إقفار الديار. 2- قدرته على إحكام الأمر. 3- وصف سرعة الناقة.	1 4-2 52-5
	ملحمة ذي الرمة.	1- البكاء على الأطلال. 2- وصف المحبوبة. 3- وصف قوة الناقة وسرعتها.	9-1 24-10 126-25
	ملحمة الطرماح بن حكيم.	1- ترك الصبا تقوى ورشادًا. 2- وصف قوة الناقة.	9-1 19-10
2- الفخر.	سمط لبيد بن ربيعة.	1- الفخر بنفسه. 2- الفخر بقومه.	77-55 89-78
	سمط طرفة بن العبد.	1- الفخر بنفسه.	54-47 98-87 106-102
	مجمهرة بشر بن أبي خازم.	1- حربهم مع تميم. 2- انتصاراتهم الحربية السابقة.	15-8 24-16
	مذهبة قيس بن الخطيم.	1- سعيه للسلم. 2- عدته للحرب. 3- وصف المعركة. 4- الفخر بسابق انتصاراتهم في القتال. 5- نتائج الحرب.	8-6 13-9 25-14 28-26 35-29
	مشوبة النابغة الجعدي.	1- وصف سرعة الناقة والفرس.	48-14

الغرض	النص	المقاصد الدلالية	الأبيات
		2- الفخر بقومه.	76-49
	ملحمة الطرماح بن حكيم.	1- الفخر بقومه بالصبر في الشدائد. 2- نصرة الذليل. 3- القصاص من الأعداء. 4- حماية النساء. 5- الشجاعة في الحرب.	27 28 29 31-30 41-32
3- المديح.	منتقاة المسيب بن علس.	1- فضل الممدوح وعطاؤه العام. 2- كرمه في الشتاء. 3- عطاؤه للشاعر.	11-7 بيتان زائدان+12 15-13
	مشوبة القطامي.	1- مدح عبد الواحد بن أبي عثمان. 2- مدح قريش.	34-33 42-35
4- التهديد.	مجمهرة خداش بن زهير.	1- عتاب عقيل وأبي بكر. 2- التهديد بالحرب. 3- الفخر بقومه. 4- رفض تحمل ديات قتلى ليسوا مواليه.	11-8 13-12 16-14 24-17
	مذهبة مالك بن العجلان.	1- خذلان بني الحارث بن الخزرج له وحدب بني عمرو بن عوف على سمير القاتل. 2- تهديد بني عمرو بن عوف بالحرب، المتضمن الفخر بقومه.	7-1 25-8
	مذهبة عمرو بن امرئ القيس.	1- رد رأي مالك بن العجلان في دية مولاه.	5-1

الغرض	النص	المقاصد الدلالية	الأبيات
		2- التهديد بالحرب متضمنًا الفخر بقومه.	16-6
6- الاعتذار.	منتقاة عروة بن الورد.	1- تبرير كثرة غاراته بكفايتها وأهلها وذوي الحاجات.	9-1
		2- ذم الصعلوك الخامل.	13-10
		3- مدح الصعلوك الشجاع الكريم.	19-14
	مذهبة أحيحة بن الجلاح.	1- الفخر بانشغاله برعاية ماله عن اللهو.	4-1
		2- عدم معرفة الإنسان الغيب حتى الكهان والعباد.	10-5
		3- كيفية خداع زوجته له.	15-11
		4- عدم كفاية أسباب القوة وإن امتلكها.	19-16
7- الرثاء.	منتقاة دريد بن الصمة (والغرض هنا التمجيد).	1- انفصام عرى الزوجية بينه وبين أم معبد.	2-1
		2- وصف ظعنها الراحلة.	4-3
		3- وصف مقتل أخيه عبد الله.	18-5
		4- تمجيد مآثر أخيه عبد الله.	30-19
	مرثية أبي ذؤيب الهذلي	1- تفسير كثرة البكاء وقلة النوم.	11-1
		2- الموت غاية كل حي.	17-12
		3- الموت غاية حمار الوحش وأتنه المتنعمين بالري والطعام والنشاط.	38-18
		4- والموت نهاية الثور الوحشي.	
		5- والموت نهاية البطلين الماجديْن	51-39

الغرض	النص	المقاصد الدلالية	الأبيات
		المتدرعين بكل أسباب القوة وعناصر البقاء.	67-52
	مرثية علقمة ذي جدن الحميري.	1- الموت نهاية كل حي من الملوك حتى الملوك العظام. 2- الأمجاد التي خلفها الملوك الراحلون.	9-1 26-10
	مرثية متمم بن نويرة.	1- كرمه في نفسه وأهله. 2- كرمه مع الناس. 3- افتقاده في وقت الشدائد. 4- شجاعته في الحرب. 5- تفجعه على أخيه ودعاؤه بسقيا قبره. 6- وصف أخوتهما وكيف كانت. 7- مواساة زوجته له. 8- تجلده في مصيبته. 9- لوم المحلّ قدامة بن الأسود على شماتته بمقتل مالك، وعدم مواراته إياه بثوبه.	3-1 8-4 12-9 17-13 24-18 29-25 40-30 45-41 هي ثمانية أبيات زائدة في رواية مخطوطة كوبريلي والمتحف البريطاني[1].

(1) انظر: الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 755، هامش 4.

الغرض	النص	المقاصد الدلالية	الأبيات
	مرثية مالك بن الريب التميمي.	5- تذكر الأحباب أهل الغضا.	3-1
		6- تذكر الأحباب من الأهل والأبناء والفرس والنسوة.	14-4
		7- الوصية بكيفية الدفن.	23-17
		8- التشوق للأهل.	51-24

وربما كان تفسير هذا الاختلاف أن دلالات النسيب هي مشترك نفسي بين الشعراء جميعًا. ومن ثم تمثل مقاصده طريقًا دلاليًّا واضح المعالم الكبرى، وإن كانت الاختلافات بين تفاصيل هذه المعالم الكبرى تختلف من نص لآخر، بحسب باعث النغم وأصل المعنى، وبحسب استيفاء الشاعر لأركان هذه المقاصد الدلالية في غرض التغزل. أما الأغراض الأخرى فإنها تمثل أفقًا دلاليًّا مفتوحًا على ما لا حصر له من المقاصد التي هي وليدة مواقف خاصة، ونزعات متنوعة، وعلاقات متباينة، وبواعث مختلفة باختلاف الأشخاص والأحداث والأحوال. ومن ثم كان عدم اطراد وثبات المقاصد الدلالية تحت هذه الأغراض.

يضاف إلى هذه الخاصية - وكما هو واضح من الجدول – أن بعض النصوص لا يطرد فيها تقسيم الأغراض إلى فصول دلالية؛ بل يمكن تقسيم هذه الأغراض إلى معانٍ جزئية. يتضح ذلك جليًّا في قصار النصوص التي لا يستوفي فيها الشاعر أنحاء المعاني جميعًا، مثل غرض الفخر في مجمهرة بشر بن أبي خازم ومذهبة قيس بن الخطيم وملحمة الطرماح بن حكيم، وغرض التهديد في مجمهرة خداش بن زهير.

وكذلك الأمر في تقسيم بعض المقاصد الدلالية؛ إذ يمكن تقسيمها إلى معان فرعية لا جزئية، وهذا الاحتمال أيضًا يكون في قصار النصوص؛ لأن اقتضاب المعاني فيها يجعل احتمال تصنيفها إلى الأبنية الدلالية الأصغر أرجح. ومن ثم فإنه يمكن القول: إن تقسيم أغراض النص إلى مقاصد دلالية، والمقاصد إلى معان جزئية، هو تقسيم غالب، وليس جامعًا لكل النصوص في الجمهرة، ولا حاسمًا في بعض النصوص.

الخاصية السادسة: تضافر بناء الغرض والفصل الدلالي مع بناء الجملة الطويلة، ومع بناء الصورة الشعرية:

تطرد هذه السمة من سمات بناء النص الشعري في نصوص الجمهرة في الأغراض، والفصول الدلالية التي تشغلها الصورة الشعرية، سواء أكانت صورة حقيقة أم مبنية على التشبيه. كما تعد هذه السمة من أبرز سمات النص الشعري في نصوص الجمهرة دلالة على إحكام بنائها الفني.

وقد جاءت الصور الشعرية في النماذج المختارة للتحليل في النصوص التالية:

النص	أبيات الصورة	أبيات الجملة الطويلة	نوع الصورة	البنية الدلالية
سمط لبيد بن ربيعة	35-24	52-20	تشبيهية	جزء من فصل دلالي
	52-36		تشبيهية	فصل دلالي
مجمهرة عبيد بن الأبرص	28-26	32-26	حقيقية	جزء من فصل دلالي
	44-36	44-33	تشبيهية	جزء من فصل دلالي
منتقاة المرقش الأصغر	7-3	7-3	حقيقية	فصل دلالي
مجمهرة خداش بن زهير	7-5	7-3	تشبيهية	جزء من فصل دلالي
منتقاة عروة بن الورد	13-10	19-10	حقيقية	فصل دلالي
	19-14		حقيقية	فصل دلالي
مرثية أبي ذؤيب الهذلي	38-18	67-18	حقيقية	فصل دلالي
	51-39		حقيقية	فصل دلالي
	67-52		حقيقية	فصل دلالي
مرثية مالك بن الريب	30-17	30-17	حقيقية	جزء من فصل دلالي
مشوبة النابغة الجعدي	31-17	31-14	تشبيهية	جزء من فصل دلالي

النص	أبيات الصورة	أبيات الجملة الطويلة	نوع الصورة	البنية الدلالية
مشوبة الشماخ بن ضرار	5-52	4-52	تشبيهية	فصل دلالي
ملحمة ذي الرمة	35-61 62-101 102-126	25-126	تشبيهية تشبيهية تشبيهية	فصل دلالي فصل دلالي فصل دلالي
ملحمة الطرماح بن حكيم	15-19 20-26	10-19 20-26	تشبيهية حقيقية	جزء من فصل دلالي فصل دلالي

من النماذج الدالة على هذه السمة الجملة الطويلة في مرثية أبي ذؤيب الهذلي، التي ابتدأت غرضًا دلاليًّا هو التعزى عن فقد أولاده بذكر صور ثلاثة لاختزام الموت الأحياءَ، وهم في أوج قوتهم، وشغلت الأبيات من 18-67، وشغلت بناء ثلاث صور شعرية حقيقية، مثل كل منها فصلًا دلاليًّا. سوف يقتصر البحث – للاختصار – على الصورة الشعرية الأولى منها.

يقول أبو ذؤيب معزيًا نفسه بتصوير اختزام الموت حمار الوحش وأتنه، وهم في ذروة قوتهم ونشاطهم واستمتاعهم بالحياة:

18- وَالدَهرُ لا يَبقى عَلى حَدَثانِهِ جَونُ السَراةِ لَهُ جَدائِدُ أَربَعُ
19- صَخِبُ الشَوارِبِ لا يَزالُ كَأَنَّهُ عَبدٌ لآلِ أَبي رَبيعَةَ مُسبَعُ
20- أَكَلَ الجَميمَ وَطاوَعَتهُ سَمحَجٌ مِثلُ القَناةِ وَأَزعَلَتهُ الآمِرُعُ
21- بِقَرارِ قيعانٍ سَقاها صَيِّفٌ واهٍ فَأَثجَمَ بُرهَةً ما يُقلِعُ
22- فمكثن حينًا يَعتَلِجنَ بِرَوضَةٍ فَيَجِدُّ حينًا في العِلاجِ وَيَشمَعُ
23- حَتّى إِذا جَزَرَت مِياهُ رُزونِهِ وَبِأَيِّ حينِ مُلاوَةٍ ينقطَّعُ
24- ذَكَرَ الوُرودَ بِها وَشاقى أَمرَهُ شُؤما وَأَقبَلَ حَينَهُ يَتَتَبَّعُ

25- فأجابهن مِن السَواءِ وَماؤُهُ بَثْرٌ وَعانَدَهُ طَريقٌ مَهيَعُ
26- فَكَأَنَّهُنَّ رِبابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسَرٌ يُفيضُ عَلى القِداحِ وَيَصدَعُ
27- فَكَأَنَّها بِالجِزعِ جِزعِ يُنابِعٍ فَأولاتِ ذي العَرجاءِ نَهبٌ مُجمَعُ
28- وَكَأَنَّما هُوَ مِدوَسٌ مُتَقَلِّبٌ في الكَفِّ إلا أَنَّهُ هُوَ أَضلَعُ
29- فَوَرَدنَ وَالعَيّوقُ مجلسَ رابِئ الرُّ قَباءِ فَوقَ النَجمِ لا يَتَتَلَّعُ
30- فَشَرَعنَ في حَجَراتِ عَذبٍ بارِدٍ حَصِبِ البِطاحِ تسيخُ فيهِ الأَكرُعُ
31- فَشَرِبنَ ثُمَّ سَمِعنَ حِسًّا دونَهُ شَرَفُ الحِجابِ، وَرَيْبَ قَرعٍ يُقرَعُ
32- وهَماهِمًا مِن قانِصٍ متلطِّفٍ في كَفِّهِ جَشءٌ أَجَشُّ وَأَقطُعُ
33- فَنَكِرنَهُ فَنَفَرنَ وَامتَرَسَت بِهِ هوجاءُ هادِيَةٌ وَهادٍ جُرشُعُ
34- فَرَمى فأَنفَذَ مِن نَحوص عائِطٍ سَهمًا فَخَرَّ وَريشُهُ مُتَصَمِّعُ
35- وبدت لَهُ أَقرابُ هذا رائِغًا عَجِلًا فَعَيَّثَ في الكِنانَةِ يُرجِعُ
36- فَرَمى فَأَلحَقَ صاعِدِيًّا مُطحَرًا بِالكَشحِ فَاشتَمَّلَت عَلَيهِ الأَضلُعُ
37- فَأَبَدَّهُنَّ حُتوفَهُنَّ فَظَارلعٌ بِذَمائِهِ أَو ساقط مُتَجَعجِعُ
38- يَعثُرنَ في علق النَجيع كَأَنَّما كُسِيَت بُرودَ بَني يَزيدَ الأَكرُعُ[1]

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 686-691.

18- الجون: الأسود وقيل الأبيض. السراة: الظهر. الجدائد: جمع جَدود، وهي الناقة قليلة اللبن. 19- صخب الشوارب: كثير النهيق، والشوارب: مجاري الحلق. مسبع: مهمل جريء ترك حتى صار كالسبع. 20- الجميم: النبت طال ولم يتم. سمحج: طويلة الظهر. أزعلته: أنشطته الأمرع: جمع مريع وهو المكان المخصب. 21- الصيف: مطر الصيف، أتجم: مكث. 22- يعتلجن: من المعالجة وهي المجاولة والمصارعة. يشمع: يلعب. 23- جزرت: نضبت [وانحسرت]. الرزون: الأماكن الغليظة المرتفعة. ملاوة: حين من الدهر. 24- بها: الضمير عائد على عيون الماء القديمة ولم يتقدم لها ذكر، وهذا كثير في كلام العرب. شاقي أمره: عاناه. 25- أجابهن: [قصدهن واتجه إليهن يعني العيون]. السواء: المرتفع من الأرض أو اسم مكان. البثر: القليل والكثير. عانده: قابله. مهيع: مستقيم واسع واضح. 26- الربابة: الخرقة أو الجلدة تجعل فيها السهام أي القداح، والمقصود بها هنا القداح، سميت بالرقعة التي تضمها.

=

يتكون هذا الفصل الدلالي الأول من الفصول الدلالية الثلاثة لغرض التعزي، والذي شغل الأبيات من 18-38، وشغل الصورة الشعرية الحقيقية الأولى من الصور الثلاثة؛ يتكون من ستة معانٍ جزئية هي:

1- وصف الحمار الوحشي الدائم الصخب وأتنه: 18-19.

2- وصف اكتمال تمتعهم بالغذاء الوفير وبالري وبالنشاط: 20-22.

3- تبدل الحال: 23-24.

4- سعيه الحثيث للوصول إلى الماء: 25-28.

5- بلوغه مصدر الري مقدمة لفاجعة الموت المنتظر: 29-33.

6- انتصار الموت على الحياة: 34-38.

وتتدلى من هذا الفصل الدلالي بعض الفروع الدلالية، مثل:

=

اليسر: صاحب الميسر يفيض على القداح: أي بها: يدفع. يصدع: يفرق. 27- الجزع: منعطف الوادي. ينابع: موضع. ذو العرجاء: أكمة وأولاتها: القطع من الأرض حولها. نهب مجمع: إبل انتهبت وضم بعضها إلى بعض. 28- المدوس: حجر الصيقل الذي يجلو به السيوف. أضلع: أعظم وأجمع. 29- العيوق: النجم الذي يطلع خلف الثريا. رابئ الرقباء: رقيب المتقامرين. لا يتتلع: لا يتقدم. يقول: وردت الحمر الماء وقت السحر، وهو وقت تميل فيه الثريا للغروب والعيوق خلفها قريب قرب الرقيب من المتقامرين. 30- شرعن: مدت أعناقها للشرب. حجرات: جوانب. حصب البطاح: فيه الحصباء وهو أعذب له. تسيخ: تغوص. الأكرع: القوائم. 31- شرف الحجاب: ما ارتفع من الحرة عند منقطعها. القرع: صوت القوس والوتر. 32- الهماهم: الصوت الذي لا يفهم. جشء أجش: قوس غليظة مصوتة. أقطع: جمع قِطْع وهو السهم. 33- امترست به: التصقت. هوجاء: فيها هوج من سرعتها. هادية: متقدمة. جرشع: عريض الجنبين. 34- النحوص: الناقة التي لم تحمل. عائط: عاقر. متصمع: ملتزق بالدم. 35- أقراب هذا: خواصر هذا الحمار، وإنما هي خاصرة واحدة؛ لكنه جمعها بما حولها. رائغًا: منصرفًا. عيث: مد يده في كنانته ليأخذ سهمًا. يرجّع: يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون [أو يكرر وضعها مرة بعد مرة]. 36- الصاعدي: النبل المنسوب إلى صاعد، وهو رجل يعمل النبال أو إلى صعدة باليمن. مطحر: خفيف. الكشح: الخاصرة. مشتملًا عليه الأضلع: داخلة في ضلوعه. 37- أبدهن: أعطى كل واحدة نصيبها، أي لم يقتل اثنتين بسهم واحد ولم يقتل واحدًا ويدع واحدًا. الظالع: من الظلع وهو العرج. الذماء: بقية النفس. متجعجع: لاصق بالأرض قد صُرع.

38- العلق: الدم اليابس، والنجيع: الدم الأحمر. انظر: الهوامش، ص 686-691.

- وصف القيعان المخصبة وغزارة المطر عليها، من المعنى الجزئي الثاني.
- معنى الشؤم الخفي والموت القادم وراء ذكر الحمار لعيون الماء القديمة، من المعنى الجزئي الثالث.
- وصف هيئة جري الحمار وأتنه نحو العيون القديمة من تجمعها وتفرقها؛ كالقداح في الربابة، وكالإبل المنتهبة المضمومة إلى بعضها، من المعنى الجزئي الرابع.
- وصف عذوبة الماء الذي وردته الأتن مع حمارها وصفائه وغزارته، من المعنى الجزئي الخامس.

جاءت الجملة في هذا الفصل الدلالي / الصورة الحقيقية طويلة ممتدة بطريق العطف بعد الجمل الثلاثة الأولى (له جدائد – لا يزال كأنه عبد – أكل الجميم) التي جاءت نعتًا للنكرة المحذوفة "حمار"، الذي هو فاعل الفعل "لا يبقى". ثم جاءت الجمل المتعاطفات، وعدتها ثلاث وعشرون جملة معطوفة، قطعتها جملة مستأنفة بـ "حتى إذا" بعد الجملة المعطوفة الثالثة "فمكثن" في البيت 22؛ ومن ثم تكون الجمل المتعاطفات في هذه الجملة الطويلة هي:

وطاوعته سمحج – وأزعلته الأمرع – فمكثن – حتى إذا جزرت – ذكر الورود – فأجابهن – وعانده طريق – فوردن – فشرعن – فشربن – ثم سمعن – فنكرنه – فنفرن – وامترست به – فرمى – فأنفذ – فخرّ – وبدت له أقراب – فعيّث – فرمى – فألحق – فاشتملت – فأبدهن – فظالع(*).

(*) يمكن إعراب الجمل: وطاوعته – وأزعلته – وعانده طريق – وامترست؛ جمل حال، مع تقدير "قد"، إذ المعنى يحتمل ذلك فيها جميعا.

وفي بسط هذه الجملة الطويلة بيان لطريقة إطالتها ولفروعها الدلالية:

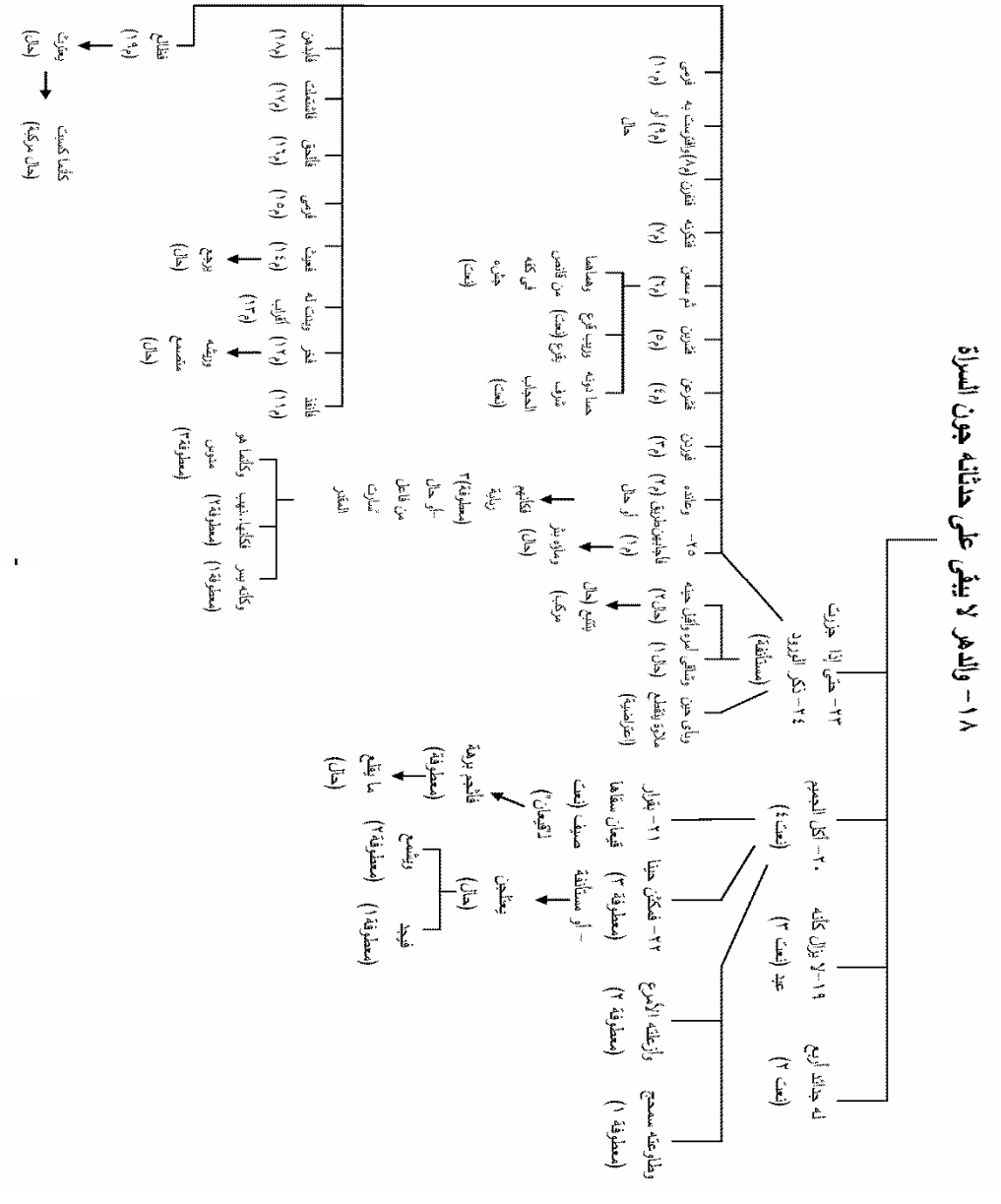

هذه الصورة الشعرية التي شغلت الفصل الدلالي الأول من غرض التعزي، وشكلتها الجملة النحوية الطويلة الأولى من جمل الغرض الثلاثة، جاءت صورة حقيقية لم تبن على التشبيه. وقد صنفت صورة لاشتمالها على عناصر المشهد الشعري كاملة؛ ففيها:

- **الشخوص:** ويمثلها الحمار وأتنه، من عالم الحيوان، والصائد من عالم الإنسان.
- **عنصر المكان**: الذي تعدد في المشهد الشعري من الأمرع المخصبة إلى السواء والطريق المهيع، إلى منعطف الوادي المسمى ينابع وجوانب هضبة ذي العرجاء، إلى حجرات الماء العذب البارد.
- **وعنصر الزمان:** من فصل الصيف غزير المطر، وهو زمن عام، إلى وقت السحر، الذي وردت فيه الأتن الماء العذب البارد، وهو زمن خاص.
- وفيها تطور الأحداث وتصاعدها من نقطة السكون والثبات في بداية الصورة، ثم بدء تحرك الأحداث نحو ذروتها حتى بلوغها النهاية.
- وفيها الأبعاد النفسية لشخوص المشهد الشعري: فهناك حالة الطمأنينة السارة في نفس الحمار، التي بثتها فيه طاعة أتنه له، ووفرة المرعى والماء، فهو "صخب الشوارب"، "أزعلته الأمرع"، ثم سريان هذه الحال إلى أتنه؛ إذ شاركته حالة النشاط، فهي تبادله المعالجة، أي المصارعة واللعب من وفرة النشاط والمرح الساري في نفوسها. وهناك حالة التلطف من الصائد المدجج بأسلحة الصيد الفتاكة، والتي لم تغنه عن التحسس لحركته والتخفي لهذه الحمر. وهناك حال الفزع الذي استبد بالحمر، فجعل إناثها تلوذ وتمترس بالحمار، وجعلته يمترس ويلتصق بها هو أيضًا؛ احتماء أو حماية.

يتضح تضافر الأبنية الشعرية الثلاثة؛ البناء النحوي والتصويري والدلالي في عدة مظاهر:

أولًا: الجملة النحوية القصيرة الأولى في هذه الجملة الطويلة "والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة"، والمكونة من مثل المسند إليه "الدهر"، والمسند "لا يبقى .. جون السراة"، والفضلة "على حدثانه"، أي بسبب حدثانه؛ هذه الجملة القصيرة تمثل مركز الدلالة في هذا الفصل الدلالي (وفي الفصلين الدلاليين التاليين)؛ لأنها مؤذنة بنهايته، كما تمثل أصل

المعنى في النص الشعري؛ لأنها توجز معنى التعزي الذي يفصله باقي جمل الجملة الطويلة وباقي معاني الفصل الدلالي. وهي في نفس الوقت تقدم العنصر الرئيس من عناصر الصورة، وهو أول شخوصها "جون السراة" – وهو المسند كما سبقت الإشارة – والذي يمثل "بطل" المشهد الشعري الذي يخترمه الموت مع إناثه في ذروة اكتمال أسباب الحياة.

ثانيًا: اتساق المعنى الجزئي الأول (18–22) والثاني (23–24) مع بناء الجملة الطويلة ومع الصورة، أما مع بناء الجملة الطويلة فإن بداية المعنى الثاني جاءت فيه الجملة مستأنفة مقطوعة نحويًّا عما قبلها "حتى إذا جزرت مياه رزونه ... ذكر الورود". كما جاءت الجملتان المتعاطفتان في البيت 24: "وَشاقى أَمرَهُ شُؤما وَأَقبَلَ حَينُهُ يَتَتَبَّعُ"، لا يصور العطف فيهما تطور الأحداث من الخارج؛ بل يصور الغيب الفاجع الذي ينتظر الحمار وأتنه، ولذلك جاء إعرابهما حالًا مع تقدير "قد"، وليستا متعاطفتين على "جزرت".

وأما مع بناء الصورة فقد مثل المعنيان الجزئيان الأولان نقطة ابتداء المشهد الشعري؛ حيث تبدو فيه العناصر ثابتة، رغم تفاعلها، ثم يبدأ تطور الأحداث وتصاعدها مع بداية المعنى الجزئي الثالث.

ثالثًا: تصاعد الأحداث في المشهد الشعري، بدءًا من "فأجابهن – فوردن – فشرعن..."، يوازيه تعاطف الجمل الممثلة لهذه الأحداث، أما ما بينها من جمل فهي فروع دلالية تتدلى من كل فعل رئيس في سلسلة الأحداث المتطورة، وهي جميعًا تمثل المعنى الجزئي الرابع والخامس اللذين يمثلان سعيه، ثم وصوله للماء وريه.

- تعاطف الجمل بالفاء، بدءًا من "فأجابهن" حتى "فشربن"، وبـ "ثم" التي تباطأ معها سير الأحداث فجأة؛ لما تعنيه "ثم" من معنى التراخي، وهي تمثل بلوغه معنى الري، ثم تعود الفاء مع بداية مقدمات الخطر وتسارع الأحداث حتى آخرها.

يخلص هذا المبحث إلى النتائج التالية:

- بناء النص الشعري بناء دلالي في الأصل، تصب فيه كل الأبنية اللفظية والتصويرية والموسيقية.
- تنقسم أنواع الدلالات في نصوص الجمهرة إلى ثلاثة أنواع:

الأول: أبنية كلية؛ وتشمل: الأغراض – المقاصد.

الثاني: أبنية جزئية؛ وتشمل: المعاني الجزئية الواقعة في المقاصد.

الثالث: أبنية فرعية؛ وتشمل: المعاني الفرعية – المعاني المتفرعة – المعاني الهامشية.

- تتميز الأبنية الدلالية في نصوص الجمهرة بعدة خصائص، هي:

أ- خلو بعض النصوص من غرض النسيب، وذلك في القصائد التي كان غرضها الرئيس:

الرثاء - التهديد والوعيد - القيم الاجتماعية والفردية. ويلاحظ على هذه النصوص التي خلت من المقدمات الطللية خلوها من تعدد الأغراض، أي خلوصها لغرض واحد، تتعدد مقاصده الدلالية، وتبرز فيها - بوضوح - تلاحم هذه المقاصد جميعًا بلحمة جذر المعنى في النص، فكأن خلوها من النسيب كان مؤذنًا بوحدة الغرض الشعري، وهو طابع عام يفرق بين القصائد ذات المقدمات الطللية – التي هي جزء من غرض النسيب – وبين تلك التي لم تلتزم بهذه المقدمات الطللية.

ب- اختلاف وظيفة غرض النسيب في بناء النصوص. وتنحصر في ثلاث وظائف، تتوقف على باعث النغم في النص: فإذا كان باعث النغم هو العلاقة بالمرأة، رضًا أو غضبًا، تكون وظيفة النسيب إما بناء الدلالة الكلية في النص، ويكون من ثم نسيبًا خالصا، أو يكون النسيب فلكًا دلاليًّا، تدور فيه أغراض النصوص الأخرى.

أما حين يكون باعث النغم فإن النسيب في النص يكون مفتاح النغم فقط، المهيئ المتلقين لاستقبال غرض النص الرئيس.

ج- اختلاف التغزل الخالص عن التغزل الذي هو مفتاح للنغم، واختلافهما عن التغزل الذي هو فلك دلالي، تدور فيه أغراض النص في طبيعة الدلالات المعبر عنها، وفي مناسبة الابتداء لغرض النص.

د- هناك فروق في طرق الانتقال والبناء بين النصوص التي جاء النسيب فيها خالصًا أو فلكًا دلاليًّا، تدور فيه أغراض النص، وبين تلك التي كان النسيب مفتاحًا للنغم فيها.

هـ- وضوح وثبات تقسيم المقاصد الدلالية تحت غرض النسيب، وعدم وضوح ذلك في الأغراض الأخرى، سواء أكانت هذه الأغراض في نصوص لها مقدمات غزلية أم لا.

و- تضافر بناء الغرض والفصل الدلالي مع بناء الجملة الطويلة، ومع بناء الصورة الشعرية.

***

المبحث الثاني
طرق بناء أبنية الدلالات

تتحدد قضية هذا المبحث في بيان كيفية بناء الأبنية الدلالية في النص الشعري في نصوص الجمهرة بعضها على بعض؛ الكلية منها والجزئية، والفرعية والمتفرعة والهامشية؛ ومن ثم يضم هذا المبحث مدخلًا وأربعة عناصر:

- مدخل.
1- بناء الأغراض الدلالية.
2- بناء الفصول الدلالية.
3- بناء المعاني الجزئية.
4- بناء المعاني الفرعية والمتفرعة والهامشية.

- مدخل:

تمثل المناسبة أو التناسب بين العناصر في النص الشعري أصلًا من أصول النظر النقدي عند العرب، يمتد في تنظيراتهم وممارساتهم النقدية من الصوت إلى النص، وقد عبروا عنه بعدد من المصطلحات، ومن الأوصاف للعناصر المكونة للنص الشعري، منها:

- المناسبة والتناسب (وهي أعم هذه الأوصاف) – التلاؤم والملاءمة والالتئام – التناسق – القِران – التمكن والنبو – الإحكام – التماسك – المشاكلة – استواء النسج – المؤاخاة بين المعاني - التجانس[1].

ففي مستوى الصوت كان اشتراط البلاغيين للفصاحة في المفرد أن يخلو من تنافر الحروف المكونة للكلمة، فلا تثقل على اللسان، ويكون جريانها عليه خفيفًا لينًا، وكان

(1) استعرض د. محمد العبد عددًا من هذه المصطلحات عند النقاد والبلاغيين العرب، مستدلًا بها على مفهوم الحبك عند القدماء على مستوى الجملة والنص. انظر: د. محمد العبد: حبك النص، منظورات من التراث العربي. مجلة فصول، ع 59، ربيع 2002م، ص58-64.

اشتراطهم للفصاحة في المركب عدم تنافر حروف الكلمات المتتابعة؛ لما له من ثقل على اللسان وعسر في النطق، وإن خلت كل منها مفردة من هذا التنافر. فالتلاؤم بين الحروف في الكلمة الواحدة وفي الكلمتين فأكثر هو نوع من التناسب[1]. وفي مستوى الدلالة كان التناسب والتقارب بين المعاني أصلًا في بناء بعضها على بعض، وفي الانتقال من بعضها إلى بعض. وكان مذهب العرب في هذا الانتقال وهذا البناء للمعاني "المحافظة على درجات من المناسبة، يكون بقاؤها ضروريًّا في الكلام؛ حتى لا تحدث انتقالات مفاجئة من معنى إلى معنى" [2].

يقول ابن قتيبة – رواية عن رؤبة حين قيل له: "رأيت ابنك عقبة ينشد شعرًا له أعجبني. قال رؤبة: نعم، ولكن ليس لشعره قران، يريد أنه لا يقارن البيت بشبهه"[3]. والمشابهة هنا هي العلاقة الدلالية الواضحة بين المعنيين، أي المناسبة بينهما. ويؤكد هذا الفهم لمعنى القِران ما ذكره ابن قتيبة في الفقرة السابقة عليها من قوله: "وتتبين التكلف في الشعر ... بأن ترى البيت فيه مقرونًا بغير جاره، ومضمومًا إلى غير لفقه[4]".

وفي حديث ابن طباطبا العلوي في "تأليف الشعر"، عن ضرورة الملاءمة بين المعاني، يصف بيت طرفة بن العبد:

ولَسْتُ بِحَلَالِ التّلاعِ مَخَافَةً ولكِنْ متى يَسترْفِدِ القومُ أَرفِدِ

(1) انظر: الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، ص 7–8، و: عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج1، ص 10، 15.

(2) د. محمد أبو موسى: تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني، المتوفى 684هـ، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى1427هـ = 2006م، ص 39.

(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص 91–91. وقال ابن قتيبة في ج2، ص 586: "يريد أنه ليس يشبه بعضه بعضًا".

(4) السابق، ص90.

بأن "المصراع الثاني غير مشاكل للأول"[1]. فعدم المشاكلة لأن معنى الرفد والإطعام في المصراع الثاني ليس من جنس معنى اللجوء إلى أعالي الجبال؛ جبنًا عن مواجهة الأعداء، ومن ثم كان الاستدراك بـ "لكن"، التي تجعل ما بعدها عكس ما قبلها في غير موضعه(*).

وقد جعل حازم القرطاجني بعض هذه العلاقات - كالتشبيه والتتميم والتعليل والتقابل - للملاءمة بين المعاني، وبناء بعضها على بعض، "ويكرر حازم أن كل معنى من المعاني له معانٍ تناسبه، وتذكر معه على وجه من وجوه المناسبة، كأن يكون تتميمًا له، أو يكون مثالًا له، أو تشبيهًا له، أو مضادًا له"[2].

وبتحليل كيفية بناء الأبنية الدلالية في نصوص الجمهرة يتضح اطراد هذا الأصل غالبًا، وذلك على النحو التالي:

1- بناء الأغراض الدلالية:

الجدول التالي يوضح أغراض النصوص الشعرية موضع التحليل، وطرق بناء بعضها على بعض:

النص	الغرض	الأبيات	طريقة البناء
1- سمط لبيد بن ربيعة.	- النسيب.	56-1	• لفظي نحوي دلالي: 57- أفلم تكن تدري نوار لفظي: بتكرار اسم "نوار". دلالي: وهي عنصر دلالي مستمر. نحوي: بالفاء العاطفة، وفي هذا الانتقال حسن تخلص.
	- الفخر.	89-57	

(1) ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، ص 166. والتلاع: مجاري الماء من رءوس الجبال. انظر الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 435.

(*) أما على معنى أن حلول التلاع استتارًا من الضيف، وهو ما ورد في تحقيق الهاشمي (ج1، ص 435)، فليس هناك عدم مشاكلة؛ لأن المعنيين متناسبان.

(2) د. محمد أبو موسى: تقريب منهاج البلغاء، ص 37، وانظر، ص 32.

النص	الغرض	الأبيات	طريقة البناء
2- سمط طرفة بن العبد.	- النسيب. - وصف الناقة.	1-10 11-46	• لفظي دلالي: 11- وإني لأمضي لفظي: بواو الاستئناف. دلالي: باستئناف الوصف: وصف الناقة بعد وصف المحبوبة. أو نحوي: باعتبار الواو حرف عطف يضم جملة كلام (هو وصف الناقة)، إلى جملة كلام (هو النسيب).
	3- الفخر بنفسه(*).	47-105	• بناء لفظي دلالي: 47- ولست بحلال التلاع لفظي: بواو الاستئناف، التي تنحو بالكلام إلى منحى آخر، هو ابتداء الفخر بنفسه. دلالي: باستمرار العنصر الدلالي، وهو ذات الشاعر (**).

(*) ينفرد سمط طرفة بن العبد ومشوبة النابغة الجعدي بتعدد الأغراض فيه إلى ثلاثة؛ ذلك أن غرض وصف الناقة جاء مستقلًا عن غرض النسيب في الأولى، وعن استعراض خبرات الحياة في الثانية، وعن الفخر في كل.

(**) جاء قول طرفة في البيت 44 في وصف ناقته قبل بدء غرض الفخر في البيت 47:

ملبسًا على الفهم أنه قطع لسياق وصف الناقة بالفخر بنفسه، ثم عاد في البيت 45 لسياق الوصف، ثم ابتدأ الفخر بنفسه في البيت 47. لكن هذا اللبس يزول بشرح النحاس للبيت بقوله: "المعنى: إذا القوم قالوا: من فتى لهذه المفازة؟ خلت أنهم يعنونني، ويقولون: ليس لها غيرك، فلم أكسل عن أن أقول: أنا لها، ولم أتبلد عن سلوكها". الهاشمي: ج1، ص 434، هامش 5. فتقدير المتعلق المحذوف "لها" في قوله: "من فتى" يجعل الجملة "إذا القوم قالوا" امتدادًا بالنعت للنكرة "مرصد"، ويجعل البيت من ثم في سياق وصف الناقة ما زال، وليس قطعًا له.

وقد أورد د. علي الجندي رواية أخرى، جاء فيها البيتان 45، 46 بعد البيت 38.

وإن شئتُ لم تُرْقِلْ وإن شِئْتُ أَرْقَلَتْ مَخَافَةَ مَلوِيٍّ مِنَ القَدّ مُحْصَدِ

فجعله متصلًا بسياق وصف الناقة، وجعل البيت 44 ابتداء غرض الفخر. انظر: د. علي الجندي: عيون الشعر العربي القديم، ج1 المعلقات السبع، دار النصر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1413هـ = 1993م، ص 57-58.

النص	الغرض	الأبيات	طريقة البناء
3- مجمهرة عبيد بن الأبرص.	1- بكاء الأهل والديار. 2- تذكر أيام الشباب والقوة.	25-1 44-26	• انفصال لفظي نحوي، وارتباط دلالي هو أصل المعنى. 26- يا رب ماء صرى وردته.
4- مجمهرة خداش بن زهير.	- النسيب. - التهديد.	7-1 24-8	• بناء لفظي دلالي: 8- فيار راكبا إما بلغت فبلغن عقيلا لفظي: بفاء الاستئناف، التي ليس فيها معنى الترتيب هنا. دلالي: خفي جدًّا.
5- مجمهرة بشر بن أبي خازم.	1- النسيب. 2- الفخر.	7-1 24-8	• بناء دلالي خفي جدًّا: 8- سائل تميمًا في الحروب وعامرا.
6- منتقاة المسيب بن علس.	- النسيب. - المديح.	6-1 15-7	• بناء لفظي دلالي: 1- ولقد رأيت الفاعلين. - لفظي: بواو الاستئناف، أو نحوي بواو العطف. - دلالي: خفي، وهو جذر المعنى، وهو الكثرة والوفرة، وهو المناسبة التي تجمع بين الغرضين.
7- منتقاة المرقش الأصغر.	- النسيب. - وصف الفرس.	10-1 17-11	• بناء لفظي دلالي. 11- غدونا على ضافي العسيب - لفظي: بالالتفات من ضمير المتكلم المفرد إلى ضمير

(*) كانت الفرس وسيلة لرحلة الصيد أو الحرب، وكانت الناقة وسيلة للرحلة إلى المحبوبة أو عنها وللرحلة إلى الممدوح، ومن ثم يتأرجح وصف الفرس هنا بين أن يكون جزءًا من غرض النسيب، فيكون مقصدًا دلاليًّا، أو أن يكون غرضًا مستقلًّا، فيكون الرابط الدلالي هو مطلق الوصف بعد وصف ريق المحبوبة، وبالتالي يكون للاستئناف وظيفته بالتحول إلى معنى جديد.

النص	الغرض	الأبيات	طريقة البناء
			المتكلم الجمع. - دلالي: مستنبط، وهو وصف قوة الفرس الموصلة للمحبوبة (*).
8- منتقاة دريد بن الصمة.	1- فراق أم معبد. 2- رثاء أخيه.	1-4 5-30	• بناء لفظي دلالي: 5- وقلت لعارض. - لفظي: بواو الاستئناف. دلالي: مستنبط، وهو تعليل البكاء على أخيه.
9- مذهبة قيس بن الخطيم.	- النسيب. - الفخر.	1-5 6-35	• بناء دلالي: 6- دعوت بني عوف. وهو رابط خفي يتصاعد فيه معنى الفخر. والاستئناف بالقطع ينحو بالمعنى إلى اتجاه جديد.
10- مرثية أبي ذؤيب الهذلي.	1- التفجع بموت الأبناء. 2- التعزي عن فقدهم.	1-17 18-67	• نحوي دلالي: 18- والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة - نحوي: بواو العطف، التي ضمت كلامًا إلى كلام. -دلالي: بالتعزي عن فقد الأبناء باختراع الموت كل حي قوي.
11- مرثية علقمة ذي جدن الحميري.	1- التعزي باختراع الموت كل حي. 2- تمجيد ملوك قومه.	1-9 10-26	• بناء لفظي نحوي دلالي: 10- فاسأل جميع الناس عن حمير - لفظي: بتكرار لفظ "حمير". - نحوي: بفاء الترتيب العاطفة. - دلالي: بمعنى الاستدلال في الجملة الإنشائية على ما سبقها. وفيه حسن تخلص.

النص	الغرض	الأبيات	طريقة البناء
12- مرثية متمم بن نويرة.	1- رثاء أخيه. 2- تفجعه بموته.	1-17 18-45	• بناء لفظي دلالي: 18- أبي الصبر آيات أراها - دلالي: باستمرار معنى التفجع. - ولفظي: بالالتفات من الخطاب إلى التكلم، ومن جهة من المعنى إلى أخرى.
13- مشوبة النابغة الجعدي.	1- استعراض خبرات الحياة. 2- وصف الناقة وسرعتها ووصف الفرس. 3- الفخر.	1-13 14-48 49-76	• بناء نحوي دلالي: 14- وتيه عليها نسج ربح - نحوي: بواو رب العاطفة. - دلالي: باستمرار معنى التذكر واستعراض الخبرات. - بناء لفظي دلالي: 49- ومهما يقل فينا العدو - لفظي: بواو الاستئناف. - دلالي: بامتداد معنى القوة من وصف الناقة والفرس، الدالة على قوة راكبها في الصيد والحرب، إلى قومه في أخلاقهم وبأسهم.
14- مشوبة القطامي.	1- النسيب. 2- المديح.	1-31 32-42	• بناء دلالي: 32- أقول للحرف لما أن شكلت أصلا - وهو استمرار وصف الناقة الحرف التي أفاض في وصف قوتها واحتمالها الأسفار، وارتحاله عليها إلى الممدوح، وفيه حسن تخلص.
15- ملحمة ذي الرمة.	1- النسيب. 2- وصف سرعة الناقة.	1-24 25-126	• بناء نحوي دلالي فيه حسن تخلص: 27- أخا تنائف أغفى عند ساهمة - جاءت جملة النعت الخامسة لـ "هاجعا" وهي

النص	الغرض	الأبيات	طريقة البناء
			"أغفى عند ساهمة" بدءًا لهذا الغرض، أو الفصل الدلالي، وجاء ذكر الناقة اسمًا مجرورًا "عند ساهمة". – والبناء الدلالي: بوصف الناقة التي أغفى عندها الشاعر، فكان التلاحم الدلالي تامًّا.
16- ملحمة الطرماح بن حكيم.	1- النسيب. 2- الفخر.	1-26 27-41	• بناء دلالي بأصل المعنى: 27- إننا معشر شمائلنا الصبر والدلالة المستمرة في النص هي الاقتدار والصبر في النفس، وفي الصحب، وفي الرحلة، وفي الحرب.

يلاحظ على طرق بناء الأغراض في نصوص الجمهرة عدة ملاحظات:

الأولى: يكون الانتقال من غرض النسيب، أو غيره، إلى غرض المديح أو الفخر بطريق البناء الدلالي أو اللفظي الدلالي غالبًا، باستثناء سمط لبيد بن ربيعة، وقد سبقت الإشارة إلى أن فخره كان يدور في فلك النسيب. وأحيانًا يكون الرابط الدلالي بين الغرضين خفيًّا يحتاج إلى استنباط.

ويستخدم يحيى بن حمزة العلوي مصطلح "الاقتضاب" للدلالة على الانتقال من غرض إلى آخر، أو من معنى إلى آخر، بلا رابط بينهما، وهو نقيض لمصطلح "التخلص"، ويعرفه بأنه: "أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو بصدده، ثم يستأنف كلامًا آخر غيره – من مديح أو هجاء أو غير ذلك من أفانين الكلام – لا يكون بين الثاني والأول ملاءمة ولا مناسبة" [1].

ويرى حازم القرطاجني أن هذا النوع من الانتقال من غرض إلى غرض تنفر منه النفوس؛ لأنه "بمنزلة المستمر على طريق سهل، بينا هو يسير عفوًا إذ تعرَّض له في طريقه ما ينقله من سهولة المسلك إلى حزونته، ومن لينه إلى خشونته" [2].

(1) انظر: الطراز ج2، ص 347.

(2) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء، ص 319.

الثانية: تحقق بعض طرق البناء حسن التخلص بين الأغراض، وهو ما يسميه العلماء بـ "الخروج" و"حسن الانتقال" و"التوصل" و"التخلص"[1]. وبتحليل مفهوم حسن التخلص والتدرج، وبالنظر إلى النماذج التي استشهد بها النقاد على هذا المفهوم، يتضح أنه ثمرة طريقة بناء الأغراض، والمعاني والمقاصد، ووصف تتصف به الدلالات إذا بنيت على بعضها بناء لفظيًّا نحويًّا دلاليًّا(*). يقول يحيى بن حمزة العلوي في تعريفه: "أن يسرد الناظم والناثر كلامهما في مقصد من المقاصد، غير قاصد إليه بانفراده، ولكنه سبب إليه، ثم يخرج فيه إلى كلام هو المقصود، بينه وبين الأول عُلقة ومناسبة. وهذا نحو أن يكون الشاعر مستطلعًا لقصيدته بالغزل، حتى إذا فرغ منه خرج إلى المدح على مخرج مناسب للأول، بينهما أعظم القرب والملاءمة، بحيث يكون الكلام آخذًا بعضه برقاب بعض، كأنه أفرغ في قالب واحد"[2].

ويرى حازم القرطاجني أن "الذي يجب أن يُعتمد في الخروج من غرض إلى غرض أن يكون الكلام غير منفصل بعضه عن بعض، وأن يُحتال فيما يصل بين حاشيتي الكلام، ويجمع بين طرفي القول، حتى يلتقي طرفا المدح والنسيب، أو غيرهما من الأغراض المتباينة التقاء محكمًا، فلا يختل نسق الكلام، ولا يظهر التباين في أجزاء النظام"[3].

---

(1) انظر هذه المصطلحات في: د. بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، ج1، ص 202، 206، 237، 248 -249، ج2، ص 933.

وقد ذكر د. طبانة من أنواع الخروج إلى المديح من خلال النماذج التي استشهد بها عليه: واو رب، قول الشاعر: إلى فلان، القطع والاستئناف، الخروج المتصل. والأول والأخير منهما من طريق البناء النحوي الدلالي للأغراض، والثاني والثالث من الاتصال الدلالي فقط. انظر: د. بدوي طبانة، ص 238. وانظر: ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، ص 149-151.

(*) النماذج التي ذكرها العلوي من الشعر لحسن التخلص، وهي للمتنبي وأبي تمام، وشاعر لم يذكر اسمه، كلها تتصل فيها المعاني التي خرج إليها الشعراء من التي قبلها اتصالًا لفظيًّا نحويًّا دلاليًّا؛ إذ كل نموذج منها جملة طويلة، انظر: الطراز ج2، ص 344-347.

(2) يحيى بن حمزة العلوي: الطراز، ج2، ص 330-331.

(3) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء، ص 318-319.

ويرى أن هذا الطريق في التخلص "يندرج فيه على ما يراد التخلص إليه، وينتقل بتلطف إليه مما يناسبه ويكون منه بسبب" [1].

ويمتد د. أبو موسى بالاستئناف البياني بين الجملتين إلى الاستئناف البياني بين الغرضين والأغراض، وأن الأول يستدعي الثاني، فيتولد منه، فتكون جملة الكلام في الغرض الأول "تحرك النفس نحو موقف جديد، وتستشرف بها أفقًا آخر من آفاق المعاني. والبواعث هنا تولدها جملة من المعاني، وهذا مذهب واسع في الكلام. وأكثر الأغراض المستأنفة والتي نقول فيها إن الكلام بدأ يطرق بابًا جديدًا من أبواب المعاني، ترجع إلى هذا النوع" [2].

وبتحليل طرق بناء الأغراض في نصوص الجمهرة، يتبين أن طريقة البناء التي تجعل الكلام "آخذًا بعضه برقاب بعض، كأنه أفرغ في قالب واحد"، هي طريقة البناء اللفظي النحوي الدلالي؛ حيث تتعدد الروابط والعلاقات بين الغرضين، ومن ثم يكون البناء أكثر إحكامًا. مثل غرض الفخر عند لبيد بن ربيعة، والذي بني على غرض التغزل بهذه الطريقة في البناء؛ فبعد فراغه من وصف سرعة الناقة التي قطع بها خلة نوار:

20- فَاقطَعْ لُبانَةَ مَنْ تَعَرّض وَصْلُهُ ... وَلَشَرُّ وَاصِلِ خُلّةٍ صَرَّامُهَا

22- بِطَلَيحِ أَسْفَارٍ، تَرَكْنَ بَقيّةً ... منها، فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا

53- فَبِتِلكَ إِذْ رَقَصَ اللّوامِعُ بِالضّحى ... وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السّرابِ إكامُهَا

54- أَقْضِي اللُّبَانَةَ، لا أُفَرّطُ رِيبَةً ... أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لُوّامُهَا [3]

بدأ في غرض الفخر بنفسه، ثم بقومه:

55- أَفَلَمْ تَكُنْ تَدري نَوارُ بِأَنّني ... وَصّالُ عَقْدِ حَبَائلٍ، جَذّامُهَا؟ [4]

(1) السابق، ن ص.

(2) د. محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، ص 313.

(3) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 357-358، 369-370.

(4) السابق: السابق، ص 370.

ومثل غرض – أو مقصد – وصف سرعة الناقة في ملحمة ذي الرمة الذي ابتدأ في سياق الجملة الطويلة – وليس مع ابتدائها – من جمل غرض النسيب، تصف خيال المحبوبة الذي زاره، فتلاحم الغرضان نحويًّا ودلاليًّا:

25- زارَ الخيالُ لِمَيٍّ هاجعًا لَعِبَتْ به التنائف، والمَهـــرِيّةُ النُّجُبُ

27- أَخَا تَنَائِفَ أَغْفى عِنْدَ سَاهِمَةٍ بِأَخْلَقَ الدّفّ من تَصْدِيرِهَا جُلَبُ[1]

الثالثة: صعوبة التفريق أحيانًا بين معنى الواو والفاء التي تضم غرضين دلاليين. هل هي العاطفة أو الاستئنافية، مثلما في الغرضين الثاني والثالث في سمط طرفة بن العبد، والغرض الثاني في منتقاة المسيب بن علس، والغرض الثالث من مشوبة النابغة الجعدي، ومثل الفاء في الغرض الثاني من مجمهرة خداش بن زهير؛ فإن الواو والفاء في هذه الأغراض جميعًا – وهي بين المدح والفخر – ضمت جملة كلام إلى جملة كلام، وبين الكلامين مناسبات عامة، مثل الاستمرار في الوصف، ومثل معنى الكثرة ... إلخ؛ مما يكفي أن يكون مسوغًا للعطف، كما قال الطاهر بن عاشور – رحمه الله [2] – لكن تحول الكلام في هذه الأغراض إلى اتجاه آخر بارز جدًّا فيها عن غيرها من الأغراض التي يمكن أن تكون الواو فيها عاطفة لاستمرار المعنى الشعري نفسه، مثل الأغراض الثانية في المراثي التي يبدو استمرار وتلاحم البناء الدلالي بين الأغراض فيها أظهر من غيرها. ومن ثم يجعل هذا التحول الظاهر في الأغراض إلى اتجاه آخر، الواوَ والفاءَ أقرب إلى معنى الاستئناف.

هذا في حين يتضح جدًّا معنى الاستئناف في الأغراض التي فصلت لفظيًّا ونحويًّا عن

(1) الهاشمي: السابق، ج2، ص 947.

(2) وقد ذكر – رحمه الله – أن عطف النسق "يجمع الكلمات الأجنبي بعضها عن بعض في المعنى، والبعيد أن يصل إليه عمل العامل"، ثم قال: "ومثل ما قيل في المفردات يقال في الجمل،؛ بل الجمل للعطف أحوج؛ لأن أكثرها أجنبي بعضه عن بعض؛ إذ الأصل في الجمل الاستقلال؛ ولذلك لقب عطفها بالوصل؛ لأن له مزيد أثر في الربط لشدة تباعد الجملتين". انظر: هامش 1، ص 24-25.

الغرض قبلها، وهو الاستئناف بلا أداة، والذي يسميه يحيى بن حمزة العلوي "الاقتضاب"، ويسميه حازم القرطاجني "التخلص بلا تدرج"، رغم وجود المناسبات العامة التي تجمع بين هذه الأغراض المستأنفة وما قبلها، وهي الروابط الدلالية الخفية المستنبطة، مثلما في الغرض الثاني من مجمهرة بشر بن أبي خازم، ومنتقاة قيس بن الخطيم، ومشوبة القطامي، وملحمة الطرماح بن حكيم، وجميعها بين المديح والفخر أيضًا.

الرابعة: يظهر تحليل بناء الأغراض في نصوص الجمهرة المراوحة جلية في اعتبار القسم من أقسام الدلالة في النص غرضًا أو فصلًا دلاليًّا؛ باعتبار درجة الالتحام الدلالي بينه وبين الغرض السابق عليه.

ففي مرثية أبي ذؤيب الهذلي مثلًا جاء الغرض الثاني (التعزي عن موت الأبناء)، بعد الغرض الأول (وهو التفجع بموتهم)، فيمكن اعتبار النص ذا غرض واحد، وفصلين دلاليين. وكذلك وصف الناقة وسرعتها في ملحمة ذي الرمة، فبالرغم من التحامه الشديد بغرض التغزل لفظيًّا ودلاليًّا فإنه شغل مائة بيت من أبيات النص المائة والستة والعشرين، فيمكن بهذا الاعتبار الكمي اعتباره غرضًا لا فصلًا دلاليًّا من فصول غرض النسيب. وكذلك وصف فرس الصيد والحرب في منتقاة المرقش الأصغر، يمكن اعتباره غرضًا مستقلًّا إذا لم يكن وسيلة الوصول للمحبوبة، أو اعتباره فصلًا دلاليًّا إذا كانت الفرس وسيلته للوصول إلى محبوبته. ولعل استخدام لفظة "رحلي" في مقصد وصف خيال ابنة عجلان ووصف "ضافي العسيب" في وصف الفرس، يرجح الاختيار الأول؛ إذ الرحل للناقة والسرج للفرس:

3- أَمِنْ بِنْتِ عَجْلَانَ الخَيَالُ المُطَوِّحُ أَلَمّ وَرَحْلي سَاقِطٌ مُتَزَحْزِحُ

4- فَلَمّا انْتَبَهنا بالفلاةِ وَرَاعَني إذا هُو رَحلي، والفَلاةُ تَوَضَّحُ

والمشهور في أشعار العرب أن الناقة وسيلة الرحلة للمحبوبة أو الممدوح، وأن الفرس وسيلة رحلة الصيد والحرب.

الخامسة: جاء الالتفات – مع تكرار اللفظ وأداتي الاستئناف الواو والفاء – طريقة من طرق البناء اللفظي في بعض الأغراض والفصول؛ إذ كان من الروابط اللفظية

التي تربط بعض الأغراض، وتبني بعضها على بعض. مثل الالتفات من ضمير المتكلم المفرد إلى المتكلم الجمع في غرض وصف فرس الصيد والحرب في منتقاة المرقش الأصغر، وفي الالتفات من الغيبة إلى التكلم، مع تحول في المعنى في مرثية متمم بن نويرة.

والالتفات هو "انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر"[1]. وتتسع حدود الالتفات عند النقاد القدامى لتشمل الالتفات في صيغ الفعل، وفي العدد، وفي الضمائر، وفي المعاني[2].

وتتجلى وظيفة الالتفات في بناء الأغراض والفصول الدلالية بالربط بينها لفظيًّا في نوعين فقط من هذه الأنواع التي ذكرها العلماء للالتفات، هما الالتفات في الضمائر في العدد. كما تتجلى كيفية الربط في التحول على مستوى التعبير في نوع الضمير أو في صيغة العدد، والذي يكون إيذانًا بالتحول في المعنى إلى منحى جديد، في نفس الوقت الذي تستمر فيه وحدة مرجع الضمير الملتفت منه والملتفت إليه، وفي وحدة المعدود إذا كان الالتفات في العدد. ولعل هذا الإيذان بتحول المعنى إلى منحى جديد هو مما عناه الزمخشري في بيانه لقيمة الالتفات أن الكلام "إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"[3]. سواء أكان هذا التحول على مستوى الجملتين، كما في الآيات الكريمة التي استشهد بها، أم على مستوى الأبنية الدلالية الأكبر كالأغراض والفصول الدلالية في النص الشعري كما هنا.

---

(1) أبو العباس عبد الله بن المعتز (247- 299هـ): البديع، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ص 152.

(2) انظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص 123-126. وانظر: الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (467 – 538هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: مكتبة الحلبي، 1392هـ = 1972م، ج3، ص 268، ص 301-302، وانظر تفصيلًا لمجال الالتفات عند القدماء واستقصاء آرائهم في ذلك: د. حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار السلام للنشر والتوزيع، ط الأولى، 1431هـ = 2010م، ص 15-25، 26-30.

(3) الزمخشري: الكشاف: ج1، ص 10.

أما القيمة الدلالية الخاصة في الالتفات في نص منتقاة المرقش الأصغر في قوله:

10- غَدَوْنَا على ضَافي العَسِيبِ مُجَلَّلٍ طَوَيْنَاهُ حَتى آل، وهُوَ مُلَوَّحُ[1]

بعد ضمير المفرد في الغرض الأول، فإنها تكمن في مقتضى الصيد والحرب؛ إذ لا يكون كلاهما إلا في جماعة، فاقتضى ذلك التحول إلى ضمير الجمع الذي مدلوله ذات الشاعر المفردة؛ لكن التعبير بصيغة الجمع يصبغ الفرس بصبغ المبالغة في أوصافه؛ كأنه يحمل هذه الجماعة من الخارجين للصيد أو المقاتلين، لا فردًا واحدًا منها.

وفي مرثية متمم بن نويرة جاء الضمير في المقصد الأول للمخاطب، متنوعًا بين مخاطب عام[2]:

7- وَيَوْمًا إذا ما كدّكَ الخَصْمُ إن يَكُنْ نَصِيرَكَ مِنْهُمْ، لا تَكُنْ أَنْتَ أَضْرَعَا

8- بِمَثْنِي الأيادي ثُمّ لَمْ تُلْفِ مَالِكًا لَدَى الفرث يَحْمِي اللحمَ أَن يتمَزَّعَا

ومخاطبة النفس على التجريد:

9- أعينيَّ هلا تبكيان لمالكٍ إذا أَذرَتْ الرِّيحُ الكَنِيفَ المُرَبَّعا[3]

ثم التفت إلى ضمير المتكلم في بداية المقصد الدلالي التالي له:

18- أبي الصَّبرَ آياتٌ أَرَاها وأنّني أَرى كلَّ حَبْلٍ بعدَ حَبْلِكَ أقطعا[4]

---

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 555. ضافي العسيب: طويل الذيل. مجلل: عليه الجلال، جمع جُل وهو ما تُلبسه الدابة لتصاف به. ملوح: شديد الضمور أو متغير اللون. انظر: هامش 5 ن ص.

(2) متمم بن نويرة: شاعر مخضرم .. عده ابن سلام في مقدمة شعراء المراثي. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج 2، ص747.

(3) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 749. أضرعا: من الضراعة، وهي الخضوع والذل. بمثنى الأيادي: أي يأخذ قدحين من قداح الأيسار [وهو متعلق بالبيت

6- إذا اجتزَأَ القَوْمُ القِدَاحَ وَأُوقِدَتْ لَهُمْ نَارُ أَيْسَارٍ كَفَى مِنْ تَضجّعا

وتضجع في الأمر: لم يُحكمه، والبيت السابع استطراد]. يتمزع: يتقاسمه الفقراء. الكنيف المربع: حجرة أو حظيرة تجعل للإبل تقيها البرد. انظر الهوامش، ص 749.

(4) الهاشمي: السابق، ن ص.

هذا التحول في الضمائر يتسق مع المقصد في كلٍّ؛ فالمقصد الأول كان تصويرًا لفقد الآخرين بتعداد فضائل أخيه وعطاءاته للفقراء والأرامل والضيفان والصحب والمقاتلين الشجعان، فكان خطاب تذكير وتأبين، أما المقصد الثاني الذي تحول فيه الضمير إلى المتكلم، فكان لبيان جزعه هو على أخيه، وكيف كانت أخوتها، وتسلية زوجته له، أي كان تصويرًا لفقده هو له.

وتجدر الإشارة إلى دلالة مطلع النص على هذين الغرضين؛ إذ يقول:

1- لَعَمْري وما دهري بتأبِينِ هَالكٍ وَلَا جَزِعًا مِمّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا[1]

فنفى أن يكون همه تأبين أخيه، أو أن يكون جزعًا مما أصابه؛ لكنه الإنكار الذي يظهر التجلد ويخفي التمزق؛ لأن النص كله جاء تفصيلًا لهذين الحالين.

2- بناء الفصول الدلالية:

تنوعت طرق بناء الفصول الدلالية بحسب ظهور أو خفاء العلاقة بينها إلى طريقتين رئيستين، هما: الاتصال النحوي الدلالي: وفيها تكون العلاقات الدلالية واضحة بين الفصول الدلالية. والانفصال النحوي: وتكون فيه العلاقات الدلالية إما خافية تحتاج إلى استنباط وإعمال نظر، ويكون ذلك في الاستئناف المحض، أو غير خافية لاستمرار نفس المعنى، ويكون ذلك في الاستئناف غير المحض، وقد يكون الاستئناف مع وجود عناصر دلالية مستمرة، أي مع وجود رابط لفظي، أو بدون عناصر دلالية مستمرة بين الفصلين.

والجدول التالي يصنف الفصول الدلالية في نصوص الجمهرة موضع التحليل بحسب طريقة البناء:

(1) الهاشمي: السابق، ص 747.

النص	الفصل الدلالي	الأبيات	طريقة البناء
			1- البناء النحوي الدلالي:
مجمهرة بشر.	وصف المحبوبة.	5-3	- بالنعت المقطوع.
مذهبة قيس.	وصف المحبوبة.	4-3	- بالنعت المقطوع.
ملحمة ذي الرمة.	وصف المحبوبة.	24-10	- بالنعت المقطوع.
سمط لبيد.	الفخر بالنفس.	77-55	- بالعطف.
مجمهرة خداش.	الفخر بقومه.	16-14	- بالعطف.
منتقاة المسيب.	كرم الممدوح في الشتاء.	12--	- بالعطف والتعديد دلاليًّا.
	عطاؤه للشاعر.	15-13	- بالعطف والتخصيص بعد التعميم.
منتقاة عروة.	مدح الصعلوك الجريء.	19-14	- بالعطف.
منتقاة دريد.	ذكر مآثر أخيه.	30-19	- بالعطف.
مرثية أبي ذؤيب.	التعزي عن فقد أبنائه.	67-18	- بالعطف.
مرثية علقمة.	التفجع.	26-10	- بالعطف.
مشوبة النابغة.	وصف فرس الحرب.	49-32	- بالعطف.
مشوبة الشماخ.	قدرته على إحكام الأمور.	3-2	- بالعطف.
	ترك الشك بالرحلة السريعة.	52-4	
ملحمة الطرماح.	وصف المحاريج.	26-20	- بالعطف.
مجمهرة عبيد.	وصف الناقة السريعة.	32-28	- بالنعت المتعدد.
مشوبة النابغة.	سرعة الناقة.	31-17	
مجمهرة خداش.	وصف المحبوبة.	7-4	- بالحال.
سمط طرفة.	وصف المحبوبة.	10-6	- بالعطف / أو الاستئناف.

النص	الفصل الدلالي	الأبيات	طريقة البناء
منتقاة المسيب.	وصف المحبوبة.	3	- بالعطف، مع الالتفات من الغيبة إلى المتكلم الجمع.
منتقاة المسيب.	وصف الظعن.	6-4	- بالعطف (مع الارتباط اللفظي، بالالتفات من المتكلم الجمع إلى المفرد، واستمرار عنصر المحبوبة).
			2- البناء اللفظي الدلالي:
سمط لبيد.	وصف الظعن الراحلة.	15-12	- باستمرار عنصر المحبوبة.
سمط لبيد.	وصف سرعة الناقة.	54-16	- بحرف الإضراب.
سمط لبيد.	الفخر بقومه.	89-78	- بالالتفات من المفرد إلى الجمع.
سمط طرفة.	وصف الظعن الراحلة.	5-3	- باستمرار عنصر المحبوبة.
مجمهرة عبيد.	وصف سرعة فرس الصيد.	44-33	- باسم الإشارة.
مجمهرة بشر.	وصف الناقة.	7-6	- باستمرار ضمير المخاطب.
منتقاة المرقش.	وصف الخيال.	7-3	- باستمرار عنصر المحبوبة.
منتقاة المرقش.	وصف ريق المحبوبة.	10-8	- باستمرار عنصر المحبوبة.
منتقاة دريد.	وصف الظعن الراحلة.	4-3	- باستمرار عنصر المحبوبة.
ملحمة ذي الرمة.	وصف الخيال وسرعة الناقة.	61-25	- بالالتفات من المتكلم إلى الغائب، واستمرار عنصر المحبوبة.
ملحمة ذي الرمة.	تشبيه سرعة الناقة بسرعة الثور.	101-62	- اسم الإشارة.
ملحمة ذي الرمة.	تشبيه سرعة الناقة بسرعة الظليم.	102-126	- اسم الإشارة.

النص	الفصل الدلالي	الأبيات	طريقة البناء
ملحمة الطرماح.	وصف قوة الناقة.	19-10	- علاقة السببية مع الالتفات من المتكلم إلى المخاطب. **3- البناء الدلالي:**
مجمهرة عبيد.	إقفار الديار.	11-5	- علاقة السببية.
مجمهرة عبيد.	كل وجود إلى عدم.	17-12	- علاقة الترتب.
منتقاة عروة.	وصف الصعلوك الخامل.	13-10	- علاقة التعليل.
مذهبة مالك.	التهديد.	25-8	- استمرار أصل المعنى.
مذهبة عمرو.	الفخر المتضمن للتهديد.	16-6	- استمرار أصل المعنى.
مرثية متمم.	تفجعه على أخيه.	45-18	- استمرار أصل المعنى.
مشوبة القطامي.	وصف الرحلة؛ طريقًا ودابة.	23-10	- علاقة السببية (خفية).

يلاحظ على طرق بناء الفصول الدلالية في نصوص الجمهرة موضع التحليل الخصائص التالية:

1- وضوح العلاقات الدلالية بين الفصول الدلالية في معظم النصوص، خاصة تلك التي بنيت بناء دلاليًّا فقط، أكثر من وضوحها في بناء الأغراض. فلا يوجد "كمال انقطاع" بين الفصول الدلالية داخل الأغراض؛ إما لتوافر "المعنى الجامع" بين كل فصلين، وهو هذه العلاقة الدلالية، حتى لو كانت خفية تحتاج إلى استنباط، وإما لاستمرار نفس الغرض، حتى لو اتجه الكلام إلى مقطع آخر من مقاطع المعاني.

2- هذه العلاقة الدلالية بين الفصول، وهي "المناسبة" التي تكفي لعطف جملة كلام على جملة كلام - كما قال الطاهر بن عاشور [1] - تجعل كثيرًا من الواوات بين

(1) انظر: الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، ص 28-29.

الفصول الدلالية محتملة للعطف أكثر من احتمالها للاستئناف، على عكس الأغراض؛ إذ يتساوى فيها الاحتمالان. فعلى سبيل المثال في الفصل الدلالي الثالث من غرض التغزل في سمط طرفة بن العبد، وهو قوله يصف جمال خولة، والذي يمتد حتى البيت 10، يقول:

6- وفي الحَيّ أَحْوَى يَنفُضُ المَرْدَ شادنٌ مُظاهِرُ سِمطَيْ لُؤلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ[1]

فالواو هنا أقرب للعطف على الجملة المستأنفة في أول الفصل الدلالي السابق عليه الذي يصف الظعن الراحلة:

3- كَأَنَّ حُدُوجَ المالِكيّةِ غُدوَةً خَلايا سَفينٍ بالنّواصِفِ مِنْ دَدِ[2]

وكلاهما مرتبط دلاليًّا بالفصل الدلالي الأول، وهو البكاء على الأطلال برابط العلة؛ إذ بكاؤه لتذكره موكب رحلتها، ولتذكره جمالها وفتنتها.

3- اشتراك الشعراء في كثير من الفصول الدلالية، وكذلك في الأغراض من قبل؛ أما المعاني الجزئية والفرعية والمتفرعة والهامشية فهي مجال الاختلاف الواسع والتفاوت الشديد بين الشعراء، وقد سبقت الإشارة إلى ما ذكره حازم القرطاجني من تفاوت الشعراء في المعاني المتعلقة بالمعاني الجزئية[3].

4- تنحصر الوظائف النحوية التي تبنى بها الفصول الدلالية في: النعت المقطوع – العطف – النعت المتعدد – الحال. وكذلك كانت الوظائف النحوية في بناء الأغراض. على عكس بناء المعاني الجزئية والفرعية والمتفرعة والهامشية، فإن الوظائف النحوية فيها تتنوع تنوعًا كبيرًا، يشمل كثيرًا من الوظائف النحوية التي يتيحها النظام النحوي العربي.

5- بالنظر إلى أقسام الجمهرة السبعة، فقد جاءت طرق البناء الدلالي واللفظي

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 421.
(2) الهاشمي: السابق، ج1، ص 420.
(3) انظر: حازم القرطاجني: منهاج البلغاء، ص 216-217.

الدلالي في بناء فصول الملحمات، والقطامي من المشوبات، والمراثي عدا علقمة ذي جدن الحميري، والمذهبات عدا أحيحة بن الجلاح، والمنتقيات في فصولها الدلالية التالية لها؛ أما الثانية فقد جاءت بطريق البناء النحوي. أما المجمهرات والسموط فقد تنوعت بين البناء النحوي الدلالي والبناء الدلالي. ومن ثم فلا يوجد في طرق بناء الدلالات ما يمكن اعتباره أساسًا من أسس تقسيم القرشي الجمهرة إلى أقسامها السبعة.

6- قد يتضافر بناء الفصل الدلالي مع بناء الصورة الشعرية – خاصة الحقيقية – ومع بناء الجملة الطويلة، أما الصورة الشعرية التشبيهية فلا تبدأ مع بداية الجملة الطويلة؛ بل بعد عدة أبيات.

من أمثلة هذا التضافر: سمط طرفة (وصف الظعن الراحلة 3-5)، ووصف المحبوبة (6-10) – منتقاة عروة بن الورد (ذم الصعلوك الخامل 10-13)، ومدح الصعلوك الجريء (14-19) – مرثية أبي ذؤيب الهذلي (التعزي عن فقد أبنائه 18-67، وداخلها ثلاث صور في ثلاث جمل طويلة)- ملحمة الطرماح بن حكيم (وصف المحاريج 20-26). أما الصور الشعرية التشبيهية التي يبدأ معها فصل دلالي جديد، فإنها لم تتضافر مع ابتداء بناء الجملة الطويلة التي يبدأ بها الفصل الدلالي؛ بل تأتي بعد بيت أو بيتين من ابتداء الجملة الطويلة. ينطبق هذا على بعض الفصول الدلالية التي تشبه سرعة الناقة أو الفرس بسرعة حيوان سريع، مثل: فصل وصف سرعة الناقة في مشوبة النابغة الجعدي، حيث بدأت جملته الطويلة في البيت 14: "وتيه عليها نسج ريح"، بينما جاءت الصورة التشبيهية ابتداء من البيت 17: "كمرقدة فرد..."، ومثل فصل وصف فرس الصيد في مجمهرة عبيد بن الأبرص، حيث بدأت جملته الطويلة في البيت 33: "فذاك عصر وقد أراني..."، بينما جاءت الصورة التشبيهية ابتداء من البيت 36: "كأنها لقوة طلوب...".

7- اتسم بناء الفصول الدلالية بناء نحويًّا بحسن التخلص. منه على سبيل المثال ما جاء في مجمهرة خداش بن زهير؛ إذ يقول متخلصًا من وصف الديار إلى وصف المحبوبة:

3- قِفـارٌ، وقـد تَرعَـى بهـا أُمُّ واقـع مَذَانِبـُـهـا بَـــيْنَ الأسِـــلّةِ والـــصّخْرِ

4- وإذْ هِـيَ خَـودٌ كالوَذِيلَـةِ بـادِنٌ أسـيلَةُ مـا يَبـدو مـن الجَيْـبِ والنَّحْـرِ[1]

فقد قدم الشاعر لانتقاله إلى فصل وصف المحبوبة بالجملة الحالية "وقد تَرعَى بها أُمُّ واقع"، أي وقد كانت ترعى، فاصلًا بها بين المنعوت الخبر "قفار" والنعت –أو الخبر الثاني "مذانبها"، ثم عطف عليها في أول فصل وصف المحبوبة جملة "وإذ هي خود". والضمير، وهو رابط لفظي، يعود على "أم واقع" في جملة الحال، فاجتمع الرابط النحوي الدلالي مع الرابط اللفظي، في الانتقال من وصف الديار إلى وصف المحبوبة، أي في بناء الثاني على الأول؛ ومن ثم اتسم البناء بحسن التخلص.

3- بناء المعاني الجزئية:

تتشابه طرق بناء المعاني الجزئية في نصوص الجمهرة موضع التحليل مع طرق بناء الفصول الدلالية في:

أ- البناء النحوي الدلالي:

- بتعدد النعوت والأخبار[2] بعطف جملة كلام على جملة كلام بالواو وبفاء الترتيب[3] .. بالنعت المقطوع[4].

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 524.

(2) مثل المعاني الجزئية في: ملحمة الطرماح بن حكيم (15-19)، ومنتقاة المرقش في أوصاف الفرس (8-12، 13-14، 15-17)، ومثل المعنى الجزئي في مذهبة أحيحة المبني بفاء السببية أو الترتيب (5-10)، وفي مرثية علقمة ذي جدن (3-18، 19-26).

(3) مثل ما في: منتقاة دريد بن الصمة (5-7، 8-12، 19-20، 25-28) وفي سمط الأعشى (81-83، 84-86، 87-89، 90-98) وفي مرثية أبي ذؤيب الهذلي (18-38، 39-67) وكلاهما صورة حقيقية نامية، ومشوبة الشماخ بن ضرار المعاني الخمسة تحت صورة الحمار الوحشي. وفي مشوبة القطامي (30-31) ومشوبة النابغة (54-62، 63-65).

(4) مثل المعاني الجزئية في: سمط لبيد (3-9) وفي منتقاة دريد (22-24) وفي سمط الأعشى (29-31).

ب- البناء الدلالي:

- بالاستئناف المحض[1] بالاستئناف غير المحض باستمرار المعنى بالحكي أو السرد، أو مع استمرار العناصر الدلالية [2].

وتنفرد المعاني الجزئية في طرق بنائها في:

- الاستئناف اللفظي الدلالي: بأداة الاستئناف "حتى" المقترنة بالظرف "إذا".

وتتميز طرق بناء المعاني الجزئية بأنها أكثر تفصيلًا في الأنواع من طرق بناء الأبنية الدلالية الكلية، الفصول والأغراض، سواء في البناء الدلالي المنفصل نحويًّا أو في البناء النحوي الدلالي.

ففى البناء الدلالي، وطريقه الاستئناف، تأتي عدة أنواع من الاستئناف لم ترد في بناء الأبنية الدلالية الكلية هي: الاستئناف بـ "حتى" المقترنة بأداة الشرط "إذا" -الحوار، سواء جاء الجواب بطريق الحوار (أي: قال، قلت)، أو بغير فعل القول – الاستطراد – القطع والاستئناف.

أ- الاستئناف بـ "حتى إذا":

وتأتي هذه الطريقة في سياق جملة طويلة في فصل دلالي، مثلما في وصف سرعة الناقة مشبهًا إياها بسرعة حيوان يتصارع مع الصائد والكلاب، فتأتي هذه الأداة الاستئنافية "حتى إذا" لتصف طورًا جديدًا من أطوار قصة هذا الصراع(*).

---

(1) مثل المعاني الجزئية في مذهبة مالك بن العجلان (8-9، 18-20، 23-24) وفي مذهبة عمرو ابن امرئ القيس (12-14، 15-16).

(2) مثل معاني الفخر في مذهبة قيس بن الخطيم (11-14، 15-17، 20-21) وفي مذهبة مالك ابن العجلان (10-17)، وفي مذهبة عمرو بن امرئ القيس (7-8، 9-11) وفي منتقاة دريد بن الصمة (12-17، 18)، وفي مشوبة النابغة الجعدي (7-13، 68-73، 74-76).

(*) ومثل "حتى إذا" في بناء المعنى الجزئي في القصص الحيواني في نصوص الجمهرة أداة الشرط "لما"، فقد استخدمها الشماخ بن ضرار لبناء مراحل رحلة الحمار وأتنه، إلا أنها جاءت معطوفة بالفاء وبالواو وليست مستأنفة. انظر: الأبيات 9-10-24-34-40-42.

جاءت هذه الطريقة من طرق البناء اللفظي الدلالي للمعنى الجزئي في سمط لبيد بن ربيعة (28-44-46-49-65-67)، وفي ذي الرمة (38-42-56-59-66-80-83-90-93-98-114).

يقول ذو الرمة في قصة الحمار الوحشي وأتنه، الذي يشبه بسرعته سرعة ناقته، في أول طور من أطوار الصراع بينه وبين الصائد، بعدما وصف في المشهد الأول من القصة سَوْقَه إياها وصخبه عليها، والذي مثل المعنى الجزئي الأول من هذا الفصل الدلالي، يقول:

38- حتى إذا مَعْمَعانُ الصّيْفِ هَبّ لَهُ بِأجّةٍ نَشَّ عَنْها الماءُ وَالرُّطَبُ

39- فَأَدْرَكَ المُتَبَقّي من ثَمِيلَتِهِ وَمِن ثَمائِلها، وَاستُنْشِئَ الغَرَب

40- وَصَوَّحَ البَقْلَ نَآجٌ تجيءُ بِهِ هَيْفٌ يمانيةٍ في وَقْعِهَا نَكَبُ

41- تَنَصّبَتْ حَوْلَهُ يومًا تُرَاقِبُهُ قُوْدٌ سماحِيجُ، في أَلوانها خَطَبُ

42- حتّى إذا اصْفَرّ قَرْنُ الشمس أو كَرَبَتْ أمسى، وقد جدَّ في حَوْبائهِ القَرَبُ[1]

في هذه الأبيات يأتي معنيان جزئيان بعد المعنى الجزئي الأول، بنيا بحرف الاستئناف المقترن بـ "إذا"؛ الأول منهما، وهو المعنى الجزئي الثاني، يصور حال الحمار وأتنه بعد اشتداد الحر وانتظارها قراره بالرحيل إلى مواضع الري. وهو المشهد الثاني من مشاهد القصة. ثم يأتي المعنى الجزئي الثالث، والذي يمثل المشهد الثالث من مشاهدها؛ ليصور الخطوة التالية من خطوات الحمار، لكنها هذه المرة ليست خطوة ظاهرة؛ بل خطوة نفسية، تصور عزمه على المضي ليلًا صوب موارد الماء.

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 949-950. معمعان الصيف: شدة الحر. أجة: سموم، مثل أجيج النار. نش: جف. الرطب: كل عود رطب. الثميلة: ما في بطونها من العلف. استنشئ: استنشق. الغرب: الماء الذي سال بين البئر والحوض. صوح: أيبس. نآج: وقت تشتد فيه الريح. به: أي فيه. هيف: حارة. نكب: انحراف. قود: طوال الأعناق، جمع قوداء. سماحيج: طويلة الظهر. الخطب: خطان أسودان على متنها. كربت: قاربت. حوبائه: نفسه. القرب: سير الليل لورود الغد. انظر: هامش 4، 5، 6.

ب- الحوار (*):

وهو على صورتين في نصوص الجمهرة؛ الأولى: صورة السؤال المذكور والجواب، والثانية: صورة المحاورة: قال / قلت أو قال ... وكلاهما يشكل معنى جزئيًّا من معاني فصل دلالي، بادئًا بجملة استئنافية؛ إما سؤال وإما قول، يتولد عنه معنى فرعي، هو الجواب أو القول الآخر [1].

وتكون العلاقة بين السؤال والجواب أو بين القول والقول الآخر هي الرابط الدلالي بين هذين المعنيين الفرعيين، اللذيْن يشكلان المعنى الجزئي الذي يشكله الحوار، والذي يسمى الثاني منهما – كما مر في مبحث بناء الجملتين – الاستئناف البياني، سواء أكانت الإجابة مصدرة بفعل القول أم لا.

من نماذج الحوار التي تبدأ بجملة استئنافية يشكل السؤال والجواب فيها معنى جزئيًّا، قول عروة بن الورد رادًّا اعتراض زوجته على كثرة غاراته، وهو المعنى الجزئي الثاني من الفصل الدلالي الأول، الذي يبين فيه فلسفته في الصعلكة:

5- تَقُولُ: لَكَ الوَيْلاتُ هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ ضُبُوءًا بِرَجْلٍ تَارَةً وَبِمَنْسِرِ
6- وَمُسْتَثْبِتٌ في مالِكَ العامَ، إنّني أَرَاكَ على أقتادِ صَرْمَاءَ مُذكِرِ
7- فَجُوعٍ بِهَا، للصّالِحِينَ مَزَلَّةٍ مَخُوْفٍ رَدَاهَا أَنْ تُصيبَكَ فاحْذَرِ
8- أَبَى الخَفْضَ مَنْ يَغْشَاكَ من ذِي قَرَابَةٍ وَمِنْ كُلّ سَوْداءِ المَحَاجِرِ تَعْتَرِي
9- وَمُستَهنِئٍ زَيدٌ أَبُوهُ فَلا أَرى لَهُ مَدفَعًا فَاقنَيْ حَيَاءَكِ وَاصبِرِي [2]

(*) يمثل الحوار في علم اللغة النصي أحد علاقات الحبك بين المفاهيم، مع علاقة التطابق بين الإجابة والسؤال. انظر: محمد أشرف عبد العال الشامي: معايير النصية، دراسة في نحو النص، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية دار العلوم، 1434هـ = 2003م، ص181-182، 189.

(1) انظر: د. محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، ص 313-314.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 570-571. الضبوء: التخفي للوحش. الرجل: الجماعة [من الرجال]. المنسر – كمجلس ومنبر-: جماعة الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. مستثبت: ثابت في قومك [أي مقيم بينهم]. أقتاد: جمع قتد، وهو خشب الرحل. الصرماء: التي قطعت أطباؤها؛ لينقطع لبنها فتقوى وتشتد. مذكر: التي تلد =

هذا المعنى الجزئي بني على المعنى السابق عليه بجملة استئنافية "تقول..."، وشغل قولها أو اعتراضها المعنى الفرعي الأول في هذا المعنى الجزئي، ثم جاء رده عليها ممثلًا للمعنى الفرعي الثاني في هذا المعنى الجزئي، وجاءت جملته أيضًا مستأنفة "أبى الخفض ..." مرتبطة بجملة المعنى الفرعي الأول برابط الجواب الدلالي، ولم تصدر بفعل القول.

ج- الاستطراد:

يعرفه العلماء بأن "يشرع المتكلم في شيء من فنون الكلام، ثم يستمر عليه، فيخرج إلى غيره، ثم يرجع إلى ما كان عليه من قبل، فإن تمادى فهو الخروج، وإن عاد فهو الاستطراد"[1].

ويكون هذا الاستطراد قطعًا لسياق دلالي متصل وسياق نحوي ممتد بالوظائف المتعددة، ويكون هذا المعنى الجزئي أكثر إلحاحًا على نفس الشاعر لأهميته.

مثل المعنى الجزئي الذي يصف تصميم قوم الشاعر على النصر بحلف زعيمهم ألا يقرب الخمر حتى ينال من أعدائهم: يقول قيس بن الخطيم في مذهبته (15-17) قاطعًا بهذا المعنى الجزئي معنى جزئيًّا آخر يصف رماح القوم في سرعة حركتها وإصابتها حصون الأعداء:

14- تَرى قِصَدَ المُرّانِ تَلقى كَأَنَّها تَذَاريعُ خِرصانٍ بِأَيدي الشَواطِبِ

15- وَمِنّا الَّذي آلى ثَلاثينَ حجةً عَنِ الخَمرِ حَتّى زارَكُم بِالكَتائِبِ

16- فَلَمّا هَبَطنا السهلَ قالَ أَميرُنا حَرامٌ عَلَينا الخَمرُ ما لَم نُضارِبِ

17- فَسامَحَهُ مِنّا رِجالٌ أَعِزَّةٌ فَما رجعوا حَتّى أُحِلَّت لِشارِبِ

= الذكور وهو أبغضه عند العرب. مزلة: تزل بأهلها. الخفض: الدعة ولين العيش، وقيل: قلة الطلب. تعتري: تطلب. مستهنئ: طالب. انظر: ص 570، والهامش 1، 2، ص 571.

(1) العلوي: الطراز، ج3، ص 12. وانظر: ابن رشيق: العمدة، ج2، ص 39. وانظر: د. بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، ج1، ص 458 -459. وقد سبق إيراده في مبحث بناء الجملتين.

18- رمينا بِها الآطامَ حَولَ مُزاحِمٍ قَوانِسُ أولى بَيضِها كَالكَواكِبِ [1]

فالسياق الدلالي المتصل يصف حركة وقوع الرماح على الأعداء، في كثرتها وسرعتها وتكسرها، وسقوطها على الحصون المحيطة بأطم مزاحم، وهو أطم لعبد الله بن أبي بن سلول [2]. قطعه الشاعر بإخباره عن قسم زعيمهم، وهو خضير الكتائب بن سماك سيد الأوس، ألا يقرب الخمر حتى يظهر عليهم، وأن يهدم أطم عبد الله بن أبي [3]. وقد جاء الاستئناف بحرف الواو، ويأتي هذا القطع بهذا المعنى الجزئي؛ تأكيدًا لوفاء زعيمهم بقسمه، ومن ثم تأكيد قوى إرادة القوم، وأنهم لا يريدون إلا نالوا، ولا يقسمون إلا أبروا.

د- القطع والاستئناف:

ويكون عند مقطع معين من الكلام، وتكون الجملة المستأنفة محذوفة المبتدأ .. وقد أضاف د. أبو موسى هذا النوع إلى الاستئناف الواقع في حيز السؤال، وإن لم يكن بسؤال أصلًا، وهو "أن يثير الكلام السابق شوق النفس إلى معرفة أكثر حول شيء من الأشياء، فيقف الكلام عند هذا الشيء ويستأنف إخبارًا جديدًا عنه"[4]. وهذا النوع من الاستئناف هو الذي ذكره عبد القاهر الجرجاني، أنه يطرد فيه حذف المبتدأ، وسماه "القطع والاستئناف" [5].

مثل قول لبيد بن ربيعة في مفتتح سمطه:

1. عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 649.
(2) انظر: السابق، ن ص، هامش 5.
(3) انظر: السابق، ن ص، هامش 2.
(4) انظر: د. محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، ص 310-311.
(5) انظر: السابق: ص 310. وانظر: دلائل الإعجاز، ص 147-152.

2. فَمَـــدَافِعُ الرّيّـــانِ عُـــرِّيَ رَسْـــمُها خَلَقًـــا كـــما ضـــمِنَ الـــوُحِيَّ سِـــلَامُهَا

3. دِمَـــنٌ تَجَـــرَّمَ بَعْـــدَ عَهْـــدِ أَنِيـــسِها حِجَـــجٌ خَلَـــوْنَ حَلَالُهَـــا وَحَرامُهَـــا[1]

جملة "دمن" محذوفة المبتدأ، والتقدير "هي دمن"، قطعت عن جملة "فمدافع الريان عُرِّي رسمها" المعطوفة على جملة "تأبد غولها..."، المستأنفة بعد جملة الابتداء "عفت الديار"؛ لإظهار تعداد الأماكن وشمول العُفُوِّ كل المنازل التي كانت تحل بها محبوبته.

وجملة "هي دمن" نعت مقطوع مستأنف للديار، كأن التغير والتحول والعفو "الذي شمل كل هذه الأماكن قد أثار في النفس التشوق إلى معرفة كيفية حدوث هذا التحول الشامل لهذه الديار، التي كانت حافلة بأسباب الحياة؛ من موارد المياه والعمارة بالبشر، فجاء القطع عن ذكر الأماكن إلى استئناف أسباب تحولها بجملة "هي دمن..."، ثم عدد نعوت هذه الدمن، التي هي أسباب هذا التحول:

تجرم بعد عهد أنيسها حجج خلون – رُزقت مرابيع النجوم ... إلى آخر أبيات هذا المعنى الجزئي في البيت التاسع من النص.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا النوع من القطع والاستئناف بجملة النعت المقطوع يختلف عن جملة النعت الممتدة به الجملة الطويلة، والتي تكون مسبوقة بعدد – يقل أو يكثر – من الجمل النعوت. والاختلاف بينهما ليس فقط في إعراب الجملة؛ بل في وظيفتها داخل السياق التركيبي للجمل. فجملة النعت الممتد تأتي في سياق التعدد لنعوت المنعوت، تستوي معه في القيمة، وإن كانت تختلف في الدلالة. بينما جملة النعت المقطوع المستأنفة تمثل مقطعًا معينًا يحمى عنده الكلام – كما يقول د. أبو موسى – فيؤز النفس، أي يشوقها إلى مزيد من الكلام عن شيء

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 348– 349. ومحلها: مكان الحلول أو النزول، ومقامها: مكان الإقامة وهي أطول، يقول: عفت الديار فلا تصلح لحلول ولا لإقامة. تأبّد: توحش. مِنى: هضبة حمراء فيها ماء عذب، وهي غير منى القريبة من مكة. غول: جبل أحمر فيه ماء. والرجام: هضبات صغار على رءوسها حجارة متصل بعضها ببعض. والريان: واد أو ماء لبني عقيل. وأربعتها أماكن متقاربة. الوُحِي: جمع: وَحيْ. وهو الكتاب. السلام: الحجارة. انظر: ص 348 هامش 1، 2، وص 349.

في هذا المقطع[1]، فكأنها تمثل منعطفًا جديدًا للكلام، أو طريقة لبناء المعاني الجزئية والفرعية بناء نحويًّا.

4- بناء المعاني الفرعية والمتفرعة والهامشية:

تنوعت العلاقات الدلالية التي بنيت عليها الأبنية الفرعية والمتفرعة والهامشية في نصوص الجمهرة موضع التحليل، إلى خمس عشرة علاقة دلالية، هي:

البيان والتشبيه – التوكيد – الحشو – المبالغة – التتميم – التبليغ – الإيغال – المقابلة – التفريع – الاستدلال – الاستطراد – التقسيم والتعديد – الاستدراك – الإجمال والتفصيل والعكس – إجابة السؤال المذكور أو المقدر.

هذه العلاقات – وغيرها مما لم تستخلصه هذه الدراسة من باقي نصوص الجمهرة – هي أنواع من "المناسبة"، أو التناسب بين المعاني، الذي كان أصلًا من أصول النظر النقدي العربي في بناء المعاني بعضها على بعض – كما سبق القول.

ويمكن التفريق بين هذه العلاقات الدلالية الخمسة عشر وبين العلاقات الدلالية المتضمنة في الأنماط الأربعة، بأن الأولى هي طرق بناء باعتبار الدلالة في الأساس، ثم تأتي العلاقات النحوية اتصالًا وانفصالًا تبعًا. والثانية هي طرق بناء باعتبار الألفاظ في الأساس، ثم تأتي العلاقات الدلالية الناتجة عن العلاقة النحوية أو العلاقة الدلالية المحضة تبعًا.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض هذه العلاقات الدلالية الخمس عشرة قد جاءت مصطلحات بلاغية خاصة بالمعاني في كتب النقاد، وقد وظفتها الدراسة هنا كأداة تحليلية ضمن منظومة أدوات تحليل النص الشعري فيها.

وسوف تكتفي الدراسة بالتمثيل لسبع علاقات منها؛ اكتفاء بورود الباقيات في سياق تحليل نماذج بناء الجملتين في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذه الدراسة.

هذه العلاقات السبع هي: البيان بالتشبيه – الاستدلال – المقابلة – المبالغة – التتميم – الاستطراد – التقسيم.

---

(1) انظر: د. محمد أبو موسى: دلالات التركيب، ص 311.

ينقل حازم القرطاجني عن ابن سينا تفسير القيمة الفنية لإيراد المعنى التشبيهي بعد المعنى المراد بيانه به بأن: "الالتذاذ بالتخيُّل والمحاكاة إنما يكمل بأن يكون قد سبق للنفس إحساس بالشيء المخيَّلِ، وتقدم لها عهد به" [1].

أ – من نماذج طريقة البيان بالتشبيه قول بشر بن أبي خازم في مجمهرته، يصف خروج الخيل من المعركة وعليها فرسان قومه:

12- يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ العَجَاجِ عَوابِسًا خَبَبَ السِّبَاعِ بِكُلّ أَكْلَفَ ضَيْغَمِ[2]

فقد بني على معنى سرعة خروج الخيل من وسط غبار المعركة كالحات الوجوه، وعليها الفرسان كالأسود الضارية، معنى مبين لهذا الخروج، وهو تشبيهه بعدو السباع السريع، وهو معنى متفرع من معنى فرعي، هو شدة بأسهم في الحرب، حتى إن خيولهم تتخضب نحورها بالدم.

ومن نماذج هذه الطريقة في بناء الدلالات المعنيان الهامشيان في البيتين 71، 72 من ملحمة ذي الرمة، واللذان يبينان طيب رائحة الشجرة التي اتخذها الثور كناسًا له، وهيئة ما يحيط به من بعر وأوراق جافة، وهما مبنيان على معان متفرعة، هي دفء الكناس، واتقاء الثور به من البرد، واحتجابه وراء أغصان الشجرة المتهدلة، ثم بعدها عن مواضع إقامة جماعات البقر، وانتشار أبعار هذه الجماعات على كثيب الرمل الذي نبتت فيه هذه الشجرة، وتجمع الأوراق الجافة التي كنستها الريح حول أصل هذه الشجرة، ثم يبني عليه المعنى الهامشي الأول، وهو معنى تأسيسي، وهو تشبيه طيب رائحة هذا الكناس حين يُمطر ببيت عطار فيه أوعية المسك التي يجمعها ثم يبيعها، فهي دائمة الأريج، ثم يبني على معنى انتشار البعر حول الكناس، وتجمع الأوراق الجافة الحائلة اللون، المعنى الهامشي الثاني، وهو معنى توكيدي في البيت 72؛ حيث يشبه هذا الانتشار بأنه ثمار التوت والعنب الجاف، قد نفضها الشجر على جوانب هذا الكناس، يقول ذو الرمة:

---

(1) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء، ص118.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 510. عوابسا: كالحات. الخبب: ضرب من العدو. الأكلف: الأسد الذي يخالط بياضه سواد. ضيغم: من أسماء الأسد، والضغم العض. انظر: ص510، وهامش 1، 2، 3 ن ص.

68- فَبَـاتَ ضَـيْفًا إلى أرطـاةِ مُـرتَكِمٍ مِـنَ الكَثيـبِ لهـا دِفْءٌ، ومحتَجَـبُ

69- مَـيْلَاءَ مِـنْ مَعْـدِنِ الـصِّيرانِ قَاصِـيَةٍ أَبْعَـارُهُنّ عـلى أَهْـدافِها كُثُـبُ

70- وحَائِـلٍ مِـنْ سَـفِيرِ الحَـوْلِ جَائِلـهُ حَـوْلَ الجـراثِيم، في أَلْوَانِـهِ شَـهَبُ

71- كَأَنّـه بَيْـتُ عَطّـارٍ يُـضَمِّنُهُ لَطَـائِمَ المِـسْكِ، يَحْويهـا، وتُنْتَهَـبُ

72- كَـأَنّما نَفَـضُ الأَحْمَـالَ ذَاوِيـةً عَـلَى جَوَانِبِهـا الفِرْصَـادُ والعِنَـبُ[1]

ب- ومن نماذج طريقة الاستدلال في بناء المعاني الفرعية والمتفرعة والهامشية قول أحيحة بن الجلاح في مذهبته مدلًّا بقوته:

16- وَقَد أَعْدَدْتُ للحَدَثَانِ حِصنًا لَوَ انّ المَرْءَ تَنْفَعُهُ العُقُولُ[2]

فقد بني المعنى المتفرع "لَوَ انّ المَرْءَ تَنْفَعُهُ العُقُولُ" على المعنى الفرعي "وَقَد أَعْدَدْتُ للحَدَثَانِ حِصنًا"، وفيه استدلال على أن نوازل الدهر لا يقي منها شيء. وفي جملة الاستدلال الثانية إشارة خفية إلى موقف زوجته الغادر به، والذي أدى إلى فشل تدبيره، رغم كامل الاستعداد له.

ومن نماذجه أيضًا قول النابغة الجعدي في أول مشوبته:

3- وإنْ جـاءَ أَمْـرٌ لا تُطيقـان دَفْعَـهُ فَـلَا تَجْزَعـا ممّـا قـضَى اللّهُ، وَاصْـبِرا

4- أَلَـمْ تَرَيـا أَنّ المَلامَـةَ نَفْعُهـا قَليـلٌ إذا مـا الـشيْءُ وَلّى وَأَدْبَـرا[3]

فالمعنى في البيت الرابع - وهو عدم جدوى اللوم بعد وقوع النازلة - فيه استدلال واحتجاج لطلب عدم الجزع والصبر على القضاء في البيت قبله.

ج- ومن نماذج بناء المعاني الفرعية بطريق المقابلة قول قيس بن الخطيم في مذهبته، مفتخرًا

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 955-956. وقد سبق بيان معنى المفردات في مبحث الفروق بين الصور.
(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 660. العقول: الحصون والمعاقل. انظر: هامش 5 ن ص.
(3) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 774.

بعمل سيوفهم يوم بعاث:

28- يُجَـرَّدنَ بِيـضًا كُـلَّ يَـوْمٍ كَرِيهَـةٍ ويُغْمَـدْنَ حُمْـرًا خَاضِـباتِ المَـضَارِبِ

33- أَصَـابَ صَرِيـحَ القَـوْمِ غَـرُّ سُـيُوفِنَا وَغَـادَرْنَ أَبْنَـاءَ الإِمـاءِ الحَوَاطِـبِ

34- فَأُبنـا إلى أَبْنَائِنَـا وَنِـسائِنا ومـا إنْ تَرَكْنَـا، في بُعـاثٍ، بِآيِـبِ[1]

فالمعاني المتفرعة في الأشطر الثانية من الأبيات الثلاثة بنيت على المعاني الفرعية في الأشطر الأولى منها بطريق المقابلة. الأول منها بني من وجه التضاد بين "يجردن" و"يغمدن"، ومن وجه الاختلاف بين "بيضا" و"حمرا"، وفي الثاني بني المعنى بطريق التقابل من وجه التضاد أيضًا بين "صريح القوم"، و"أبناء الإماء"، وبني الثالث بطريق التقابل من وجه الإيجاب والسلب بين "أبنا" و"ما تركنا بآيب"[2].

ومن نماذج هذه الطريقة في بناء الدلالات الفرعية أيضًا قول علقمة ذي جدن الحميري؛ يرثي ملوك قومه، بأن الموت ليس له دافع، فلا يفلت من قبضته أحد:

6- أَوْ تُبّعٌ أُسْعَدَ في مُلْكِهِ لا يَتْبَعُ العالَمَ بَلْ يُتّبَعْ

7- وَقَبْلَهُ يَهْبُرٌّ في ملكه طَارَتْ بِهِ الأيّامُ حَتّى وَقَعْ[3]

ثم يمجد آثارهم التي خلفوها لمن بعدهم، والمجد الذي لا يقتلع:

20- إنْ خَرّقَ الدّهْرُ لَنَا جَانِبًا سَدّ الذي خَرّقَهُ، أَو رَقَعْ[4]

فالمعنى الفرعي "بل يتبع" بني على المعنى المنفي قبله "لا يتبع العالم"، بطريق المقابلة من وجه التضاد، وكذلك معنى الوقوع في البيت التالي له، والمقصود به الموت، بني من وجه

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 651-652.

(2) للمقابلة عدة أوجه: المخالفة: وهي ما يقرب من التضاد، والتقابل بين الإيجاب والسلب، بأن يكون الأول مثبتًا والآخر منفيًّا، والتقابل من جهة التضاد. انظر: د. بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، ج1، ص 251، 341، 447، ج2، ص 674-677.

(3) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 726.

(4) الهاشمي: السابق، ص 727.

التضاد أيضًا على معنى الطيران قبله، والمقصود به علو الشأن وكمال الملك. وكذلك الأمر في التقابل الذي بني عليه المعنى في البيت الأخير؛ إذ قابل الشاعر بين "خرق" و"سد" و"رقع".

د- من طرق بناء الدلالات الفرعية والمتفرعة: المبالغة، وهي من مصطلحات البديع المعنوي، يقصد بها: "زيادة على المعنى بعد تمامه"[1].

ويرد عند العلماء بألفاظ أخرى، مثل: الإيغال والغلو والإفراط. ويجعل العلوي الغلو والإفراط – أو الإغراق بمصطلحه – نوعين من أنواع المبالغة؛ الأول: هو دعوى كون الوصف "الذي هو على مقدارٍ فوق ما يسلمه العقل ويستقر به"، وهو حقيقة المبالغة، على مقدار غير ممكن. والثاني: هو دعوى كون الوصف على مقدار ممكن، يمتنع وقوعه عادة، أما المبالغة فهي كون الوصف على مقدار مستبعد، يصح وقوعه عادة [2].

بينما يجعل "الإيغال" نوعًا مستقلًّا، وإن كان يأتي في المبالغة في الشيء أيضًا. ويضبطه بمجيئه في عجز البيت، وهو في الأصل مستمد معناه من سرعة السير [3].

من نماذج هذه الطريقة في بناء الدلالات الفرعية والمتفرعة قول المرقش الأصغر في منتقاته، يصف قوة فرسه ونشاطه:

14- وَتَسْبِقُ مَطْرُودًا، وَتَلْحَقُ طَارِدًا وَتَخْرُجُ من غَمّ المَضِيقِ وتمرحُ[4]

فالمعنى "تمرح" مبالغة في وصف قوة الفرس؛ إذ يستقصي كل المعاني الممكنة لقوته من السبق واللحاق في حالتي الطرد والخروج من المضايق إلى الاتساع، ثم يبالغ ببناء معنى زائد على كل هذه المعاني، وهو المرح واللعب بعد كل هذا الجهد المبذول.

ومنها قول دريد بن الصمة يصف ظعن أم معبد الراحلة، مشبهًا إياها في كثرتها بالنخيل الطوال المنتصبة:

(1) أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، مكتبة الحلبي، ص 104.
(2) انظر: العلوي: الطراز، ج3، ص 125.
(3) انظر: العلوي: السابق، ص 131.
(4) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 556.

4- أَوْ الأَثَابُ العَمُّ المُجَرَّمُ سُوقُهُ بِكَابَةَ لم يُخْضَدْ، وَلَمْ يُتَعَضَّدِ[1]

فمعنى "لم يتعضد" بني على معنى "لم يخضد"، بالإيغال في وصف انتصاب النخل واستوائه.

هـ- وقريب من المبالغة التتميم؛ فالتتميم "هو أن يحاول الشاعر معنى، فلا يدع شيئًا يتم به حسنه إلا أورده وأتى به؛ إما مبالغة وإما احتياطًا واحتراسًا من التقصير"[2].

أما التتميم بقصد المبالغة فمثل قول أحيحة بن الجلاح في مذهبته، مشبهًا حصنه الضحيان في بياضه ودقة صنعته بالسيف الذي:

18- جَلَاهُ القَيْنُ ثُمّتَ لَمْ يُشِنْهُ بناحية، ولا فِيهِ فُلُولُ[3]

فالمعنى الذي في عجز البيت "ولا فيه فلول" تتميم للمعنى قبله "لم يشنه بناحية"؛ مبالغة في وصف دقة صنع السيف؛ إذ نفى عموم الشين عنه، ثم خص الثلم منها.

ومن التتميم المبني على الاحتراس - وكثيرا ما تأتي جمله اعتراضية لا محل لها من الإعراب - قول قيس بن الخطيم في مذهبته؛ يصف انتصارهم الساحق يوم بعاث على بني عوف، حتى إن نساءهم تمنين ألم تكن حرب:

32- فَلَوْلَا ذُرَا الآطامِ، قَدْ تَعْلَمُونَهُ وَتَرْكُ الفَضَا شُورِكْتُمُ في الكَوَاعِبِ[4]

فجملة "قد تعلمونه" تتميم لمعنى مشاركتهم الكواعب لولا تحصنهم بالحصون وتركهم الفضاء السهل؛ هربًا من الملاقاة، يحترس به عن احتمال ظن أن ذلك دعوى منه يدعيها، فيؤكدها بهذا الاحتراس، أنكم تعلمون ذلك علم اليقين قبل أن يكمل المعنى.

---

(1) الهاشمي: السابق، ص 588. ويخضد: يكسر رطبًا أو يابسًا دون أن ينفصل. وفيه معنى الوهن والضعف والتثني والتشدخ. وعضده: قطعه. انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج1، ص 301، مادة (خ ض د)، وص 326 مادة (ع ض د). العم: ويضم النخل الطوال. انظر: الهاشمي، ج1، ص 588، هامش 2.

(2) ابن رشيق: العمدة، ج2، ص 50. وانظر: العلوي: الطراز، ج3، ص 104.

(3) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 661. لم يشنه: لم يعبه. فُلول: ثُلَم، واحدها فَلّ. انظر: هامش1 ن ص.

(4) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 652. الآطام: الحصون. الكواعب: جمع كاعب، وهي المرأة الناهدة. انظر: هامش 4 ن ص.

ومن هذا البناء الدلالي بالتتميم قول متمم بن نويرة في مطلع مرثيته أخاه مالكًا:

1- لَعَمْـري، ومـا دهـري بتـأبِينِ مَالـكٍ وَلَا جَزِعـًا مِمّـا أَصَـابَ، فَأَوْجَعَـا

2- لَقَـدْ غَيَّـبَ المِنْهَـالُ تَحْـتَ رِدَائِـهِ فَتًـى غَـيْرَ مِبْطَـانَ العَـشِيّاتِ أَزْوَعَـا[1]

فالمعنى المعترض به بين القسم "لعمري" والمقسم عليه "لقد غيب المنهال تحت ردائه فتى ..." جاء تتميمًا لهذا القسم؛ احترازًا عن أن يظن به أنه يرثي أخاه ليمتدحه، أو أنه يرثيه جزعًا عليه؛ كأنه يريد التأكيد على أن ما سيقسم عليه ليس وليد جزع ولا رغبة في مدح؛ بل هو حقيقة تستحق أن يقسم عليها.

و- الاستطراد: وهو طريقة من طرق بناء الأبنية الدلالية الفرعية والمتفرعة.

من نماذج هذه الطريقة في بناء المعاني الفرعية قول عروة بن الورد في صفة الصعلوك الجريء، واصفًا غاراته المستمرة، وخوف الناس المستمر من توقع هجومه المفاجئ، قاطعًا هذا السياق الدلالي بمدح هذا الصعلوك، ثم يعود إلى المعنى الذي كان فيه، يقول:

15- مُطِلًّا على أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِساحَتِهِمْ، زَجْرَ المُشيحِ المُشَمِّرِ

16- فَذَلِكَ إنْ يَلْقَ المَنِيّةَ يَلْقَهَـا حَمِيدًا، وإنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ

17- إذَا بَعُدُوا لا يَأْمَنُونَ اقْتِرابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الغائِبِ المُتَنَظَّرِ[2]

فالمعنى في البيت 16 استطراد من وصف صراع الصعلوك مع أعدائه، إلى مدحه بأن موته محمدة، وغناه جدارة، ثم يعود إلى وصف ترقب أعدائه الدائم له.

ومن الاستطراد قول مالك بن الريب التميمي في مرثيته:

3- لَقَد كانَ في أَهلِ الغَضا لَو دَنا الغَضا مَـزارٌ وَلَكِـنَّ الغَـضا لَـيسَ دانِيـا

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 747-748. دهري: همي. المنهال: رجل كفن مالكًا بثوبه وقد مر به قتيلًا. المبطان: الضخم البطن من كثرة الأكل، يريد لا يعجل بالعشاء انتظارًا لمجيء الضيفان. أروع: الذي يروع بحسنه. انظر: هامش 2، ص 747، وهامش 1 ص 748.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 573. المشيح المشمر: الجاد الحذر المتهيئ. انظر: هامش1 ن ص.

4- أَلَـمْ تَـرَني بِعـتُ الـضّلالةَ بالهُـدى وَأَصْـبَحْتُ في جـيشِ ابـنِ عفّـان غازيـا

5- دَعاني الهَوى من أهل وُدّي وصُحبتي بِـذِي الطَّبَـسَينِ، فالتفـتُّ وَرَائِيـا[1]

فالمعنى في البيت الرابع - وهو إيثاره الهدى بالجهاد في سبيل الله على الضلالة بالفتك وقطع الطريق - مبني على ما قبله بالاستطراد إليه؛ إذ قطع سياق معنى التشوق للأحبة ساكني الغضا، ثم عاد إلى حديث التشوق لأهل الصحبة والمودة ساكني ذي الطبسين. ولعل الخروج من معنى التشوق بهذا الاستطراد، ثم العودة إليه؛ لأن معنى الاستطراد قد غلبه؛ لأن التحاقه بالجيش غازيًا كان سببًا أو سياقًا أحاط بموته كما تروي الروايات عن سبب موته بأفعى لدغته، كانت في خفه وهو في غزو سعيد[2]، ثم عاد بعده إلى معنى التشوق.

ز- التقسيم المحض: يعرفه ابن رشيق بأنه: "استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به"[3]. ويعرفه أسامة بن منقذ بـ "أن يقسم المعنى بأقسام تستكمله، فلا تنقص ولا تزيد عليه"[4].

ويلاحظ أن جملة المعنى المستطرد إليه دائمًا مستأنفة؛ إما بالقطع، وإما بحرف الاستئناف.

والتقسيم الوارد في نصوص الجمهرة نوعان؛ تقسيم محض، وهو مختص بالمعنى، وتقسيم موسيقي سوف يأتي بيانه في مبحث البناء الموسيقي الجزئي.

من هذا التقسيم المحض للمعنى قول طرفة بن العبد في سمطه:

104- لَعَمرُكَ ما أَمري عَلَيَّ بِغُمَّةٍ نَهاري وَلا لَيلي عَلَيَّ بِسَرمَدِ[5]

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 760 ، ومن نماذج الاستطراد أيضًا منتقاة دريد بن الصمة 6، مذهبة مالك بن العجلان 23، 24، مرثية متمم بن نويرة 7، مشوبة النابغة الجعدي 6.

(2) انظر: الهاشمي، السابق، ص 759، هامش 1.

(3) ابن رشيق: العمدة، ج2، ص 20.

(4) أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص 61.

(5) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 452. والغمة: الأمر المبهم الذي لا يهتدى فيه، والسرمد: الطويل الذي لا ينقضي. انظر: هامش 1 ن ص.

فاهتداؤه ورشده في كل أمر شمل أقسام الزمن جميعًا؛ لأنه إما في نهار وإما في ليل ولا ثالث لهما، وقد بني المعنى الثاني على الأول عن طريق التقسيم.

ومنه قول القطامي في مشوبته، في أبيات منفصلة:

9- قد يُدرِكُ المتأني بَعضَ حاجَتِهِ وقد يكونُ مع المُستَعجِلِ الزَّلَلُ

ويصف نشاط النوق في السفر:

17- يَمشينَ رَهوًا فلا الأعجازُ خاذِلةٌ ولا الصدورُ على الأعجازِ تَتَّكِلُ

18- فَهُن معترضاتٌ والحصى رَمِضٌ والرِّيحُ ساكِنةٌ والظِـلُّ مُعتَدِلُ[1]

فالمعنى في البيت التاسع هو ثمرة السعي من حيث سرعته، فهو مقسم بين التأني والاستعجال، فتكون الثمرة الإدراك مع التأني والفوت أو الزلل مع الاستعجال. وقد بنى الشاعر المعنى الثاني على الأول بالتقسيم.

والمعنى في البيتين 17-18 اتساق حركة النوق الراحلة ونشاطها، الواحدة والمجموع، في شدة الهاجرة، أما اتساق حركتها فيدل عليه قوة صدورها وأعجازها في الحركة المتتابعة، وكلاهما يتبدى فيه قوة خلقها. وأما نشاطها في شدة الهاجرة فإنه استقصى كل العلاقات الظاهرة لاشتداد الحر، وهي التهاب الحصى وسكون الريح واعتدال الظل في منتصف النهار. وتجدر الإشارة إلى وفرة نماذج التقسيم الدلالي المحض في نصوص الجمهرة؛ إذ هي طريقة أساسية من طرق بناء المعاني الفرعية والهامشية.

ملاحظات عامة على طرق بناء الأبنية الدلالية في نصوص الجمهرة:

1- تعددت أنواع الاستئناف الذي بنيت به الأبنية الدلالية؛ من استئناف بالأدوات (بل – حتى – إذا – لكن – الواو – الفاء) إلى الاستئناف المجرد عن الأداة. وقد جاء الاستئناف المجرد عن الأداة طريقة أساسية في بناء الأبنية الدلالية الكلية

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 805، 807. والرهو: الهون والرسل. والخاذلة: المتخلفة [أو الضعيفة]. معترضات: أي من النشاط. رمض: اشتد عليه حر الشمس. والظل معتدل: صار ظل كل شيء تحته وقت انتصاف النهار، انظر: ص708، هامش 3، 4.

والجزئية، بينما تنوعت طرق بناء الأبنية الفرعية في استخدام هذه الطريقة، سواء كان الاستئناف ابتداءً للبنية الفرعية أو قطعًا لسياق ممتد من البناء النحوي أو الدلالي مثلما في الاستطراد، أو استئنافًا بأداة من أدواته، أو استمرارًا للمعنى مثلما في إجابة السؤال المذكور أو المقدر.

2- أنواع العلاقات الدلالية التي تربط المعاني الفرعية والمتفرعة والهامشية أكثر تنوعًا من تلك التي تربط بين المعاني الكلية والجزئية، وهذا مقتضى ثراء هذه المعاني نفسها في النص الشعري. ولذا كانت هذه المعاني لا يمكن حصرها، كما أن تفاوت الشعراء فيها أكثر، وتأتي طرق بنائها لتشمل كل الوظائف النحوية التي يتيحها النظام النحوي العربي، وإن كان البناء النحوي يغلب فيها على الاستئناف، بعكس الأبنية الكلية والجزئية.

3- المعاني الفرعية والمتفرعة والهامشية كثيرًا ما تبنى بطريق البناء النحوي الدلالي، مع تنوع شديد في الوظائف النحوية التي تشغلها هذه المعاني؛ لأنها كثيرًا ما تأتي في سياق جمل طويلة، وهي عمومًا تتناسب طرديًّا مع طول النص، فتكثر في النصوص المطولة، وتقل في القصيرة.

4- المعاني الفرعية التوكيدية أو الحكمية - بتعبير حازم القرطاجني - تبنى بطريق الاستئناف المحض غالبًا، وتكون في عجز الأبيات.

***